



السَعَادَةُ الأُسَرِيَّةُ

تأليف

عَبْدُ الكَرِيم بن عَوَض اللِّبيني السُّلَمي

ح عبد الكريم عوض منعم السلمي، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السلمي، عبد الكريم بن عوض بن منعم
السعادة الأسرية / عبد الكريم بن عوض بن منعم السلمي
مكة المكرمة، ١٤٤٢هـ
١٩٩ صفحة ؛ ٢١ × ٢٩,٧ سم
ردمك: ٢ - ٦٣٩٠ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- الأسرة في الإسلام ٢- العلاقات الأسرية
أ. العنوان
ديوي ٢١٢,٥ ١٤٤٢ / ٣٠١١

رقم الإيداع: ١٤٤٢ / ٣٠١١
ردمك: ٢ - ٦٣٩٠ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى
جمادى الأولى ١٤٤٢هـ - ديسمبر ٢٠٢٠م

هذا الكتاب

السعادة والحياة الطيبة مطلب للأفراد والأسر والمجتمعات، وحيث كانت إقامة الصلاة والمحافظة عليها للفرد أو الأسرة فثم السعادة، نموذج الأسرة السعيدة هو نموذج البيت النبوي الذي عاش أفراده حقيقة السعادة..

وهذا الكتاب يسلط الضوء على سعادة الأسرة المسلمة، ومنهجية التعامل المثلى التي كان يتعامل بها رسول الله ﷺ مع أسرته..

ويركز الكتاب على الجانب العملي الموصل للسعادة الأسرية بكتابة ميثاق الأسرة الناجحة والسعيدة.

السَعَادَةُ الأُسَرِيَّةُ

تأليف

عَبْدُ الكَرِيمِ بن عَوَضٍ اللِّبَيْنِيّ السُّلَمِي


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر:١٨]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

ثم أما بعد:

فإن الله تعالى خلق الخلق لعبادته وطاعته قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات:٥٦]، وجعل السعادة كل السعادة في تحقيق هذه الغاية، ذلك أن الإيمان بالله تعالى ومحبته واتباع منهجه في الحياة وتحقيق مراده جل وعلا بالأعمال الصالحة هي الحياة الطيبة التي وعد الله تعالى بها عباده المؤمنين ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل:٩٧].



والعبادات ولا سيما – الصلاة – لها أثر بارز في صناعة سعادة المسلم، على مستواه الفردي والأسري، فإن الأسرة – أي أسرة – إذا استقام افرادها على المحافظة على الصلوات، وتعظيم قدرها نالهم من ذلك الخيرات والرحمات وتنزلت عليهم البركات فعاشوا حياة سعيدة آمنة مطمئنة.

والنموذج الخالد الذي عاش حياة السعادة في نفسه وفي أسرته بل وربى غيره عليها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ إن حياته كلها سعادة فكلها شكر لله على نعمه، وصبر على ما كان يواجه من تحديات في مواجهة دعوته.

وكانت صلته بربه جل وعلا هي الزاد الذي يتزود به وهي الملجأ الذي يلتجئ به صلوات ربي وسلامه عليه.

والنبي الكريم عليه الصلاة والسلام عاش حياة السعادة كلها، وأفاض منها على كل من حوله لاسيما أسرته الكريمة.

فنحن نعرف عنه ـ صلى الله عليه وسلم مأكله ومشربه وملبسه ومشيته وجلسته، وكيف كان ينام، وكيف كان يضحك، وما كان يحب مِن الأشياء، ومَن كان يحب، ونعرف صلاته وغزواته، وحاله في بيته مع نسائه وأطفاله وأحفاده، ونعرف عن نبينا ما لا يعرفه أحدنا عن أبيه [١].

---

(١) مفاهيم أساسية لدراسة السيرة النبوية، محمد جلال قصاص ص٦ بحث غير منشور.



والحاجة ماسة في هذا العصر الذي يبحث فيه الناس عن النماذج والقدوات لبيان حياة النبي عليه الصلاة والسلام الأسرية وتعاملاته الأخلاقية مع أسرته، وأثرها في تكوين نموذج حياة الأسرة السعيدة، وكذلك مقومات سعادة الأسرة كما جاءت في هدي خير البرية وفي المعاملة الأسرية التي كان يمارسها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته مع أسرته، والمنهج النبوي في التعامل الراقي الذي كان يحظى به كل من تعامل معه عليه الصلاة والسلام من زوج أو ولد أو قريب ذي رحم.

قال ابن القيم رحمه الله: ومن هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة، إلا على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل، إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم، وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح الذين على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأعمال والأخلاق أ هـ (١).

كما قال رحمه الله: فما ظنك بمن إن غاب عنك هديه، وما جاء به طرفة عين فسد قلبك، وإذا كانت السعادة معلقة بهديه، فيجب على كل من أحب نجاة نفسه، أن يعرف هديه، وسيرته وشأنه أ هـ (٢).

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد ص٢٨

(٢) المصدر نفسه ص٨، بتصرف يسير.



وفي هذا الكتاب بعون الله وتوفيقه سيتم ذكر أخلاقيات التعامل الأسري في السيرة النبوية، الموصلة للسعادة الأسرية مع بيان أثر سعادة الأسرة على الزوجين والوالدين، وما يلحق بهم ممن يعولهم رب الأسرة من الأقارب وذوي الأرحام والخدم، والجيران.

ويسعى هذا الكتاب إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- إيجاد النموذج المثالي للأسرة السعيدة وللتعامل الأسري الناجح، والذي هو نموذج تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع أسرته.

٢- توضيح الصورة المثلى للأسرة الناجحة السعيدة، التي يتمتع أفرادها بأخلاقيات تعامليه عالية.

٣- تحديد مفهوم الأسرة، وأهميتها، ومن تشتمل عليه.

٤- توضيح مقومات السعادة الأسرية وأركانها.

٥- استخراج التطبيقات التعاملية في الأسرة من السيرة النبوية للتدريب عليها.

٦- إبراز الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفرد الأسرة

٧- كتابة الميثاق الأخلاقي للأسرة المسلمة السعيدة، ودستورها الذي تسير وفق خطواته على ضوء السيرة النبوية.

٨- معرفة أثر استقامة الأسرة المسلمة، على تحقيق الأمن المجتمعي.

٩- معرفة أثر استقامة الأسرة المسلمة على سعادة المجتمع.

١٠-استنتاج مهارات التعامل الأسري الناجح من خلال أحداث حياة النبي عليه الصلاة والسلام وسيرته.



الأسرة

مصطلح الأسرة في اللغة:

نجد في معاجم اللغة أن أسرة الرجل عشيرته ورهطه، فالأسرة: عشيرة الرجل وأهل بيته، ولفظ الأسرة مشتق من الأسر وهو القيد أو الشد بالإسار، أي يتضمن معنى الإحكام والقوة [1].

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية لم يرد لفظ (الأسرة) وإنما وردت ألفاظ لها مدلول الأسرة ومعناها وهي كلمة الأهل، وكلمة العشيرة، كما في قوله تعالى:﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٤]، وقوله تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾ [القصص:٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦]، وقول النبي عليه الصلاة والسلام: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) [2] رواه ابن حبان في صحيحه.

---

(١) ابن منظور لسان العرب مادة (أسر) الطبعة الأولى دار بيروت ٤ / ٢٠.

(٢) رواه ابن حبان باب ذِكْرُ الزَّجْرِ عَنْ ضَرْبِ النِّسَاءِ إِذْ خَيْرُ النَّاسِ خَيْرُهُمْ لِأَهْلِهِ (٩/ ٤٩١)



المفهوم الاصطلاحي للأسرة:

إن معنى الأسرة في العرف الاجتماعي الشائع هو المجموعة الصغيرة المكونة من الزوجين والأبناء[١].

والمتعارف عليه الآن إطلاق لفظ (الأسرة) على الرجل ومن يعولهم من زوجه وأصوله وفروعه. وهذا المعنى يعبر عنه الفقهاء قديماً بألفاظ منها، الآل، والأهل، والعيال، كقول النفراوي المالكي: من قال الشيء الفلاني وقف على عيالي، تدخل زوجته في عياله[٢].

وفي الاصطلاح الشرعي: الأسرة هي الجماعة المعتبرة نواة المجتمع، والتي تنشأ برابطة زوجية شرعية بين رجل وامرأة ثم يتفرع عنها الأولاد، وتظل ذات صلة وثيقة بأصول الزوجين من أجداد وجدات، وبالحواشي من إخوة وأخوات، وبالقرابة القريبة من الأحفاد (أولاد الأولاد) والأسباط (أولاد البنات) والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولادهم[٣].

ويجدر بنا ونحن نذكر مفهوم الأسرة أن نعرج على وضع الأسرة والنظام الأسري قبل العهد النبوي، حيث نجد أن الأسرة كانت مشتتة العناصر متقاطعة الأواصر لا يصلها رحم، ولا تشفع لها قرابة، قد خيم عليها الحقد والتدابر والبغضاء والتناحر، لا

---

(١) حسن ايوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، الطبعة الأولى ص١٩٨

(٢) موسوعة الأسرة المسلمة، إعداد لجنة البحوث والدراسات، اشراف توفيق الواعي، الطبعة الأولى ص٧.

(٣) المصدر نفسه ص٨



تعرف للمرأة قيمة ولا تحفظ لها كرامة. فقد كانت في بعض الحضارات والثقافات القديمة تعتبر من سقط المتاع، تباع وتشترى في الأسواق قد قضي عليها بالعبودية والإضلال، وليس لها حقوق شخصية ملكية في تملك أدنى متاع، وإنما خلقت لخدمة الرجل، وكذلك كانت عند العرب ممتهنة جداً، حتى اشتهر عندهم وأد البنات مخافة العار، وقد حكى القرآن عنهم شيئاً من ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النحل:٥٨].

وقد كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان من أبناء الميت، وكانت العرب ترث النساء كرها، ويلقي الوارث ثوبه على زوج مورثه، ثم يقول: ورثتها كما ورثت ماله، فيكون أحق بها من نفسها. وكانوا يكرهون فتياتهم على البغاء تكسباً للمال[1].

فلم يكن هناك أي نظام معتبر في التعاملات والعلاقات الأسرية قبل مبعث نبي الهدى صلى الله عليه وسلم، وحتى ما يذكر من شيم العرب وأخلاقهم في هذا الجانب فهي حالات فردية، لا ترقى لأن تكون نظاماً عاماً يسير وفق مجتمع معين، أما بعد مبعث النبي عليه الصلاة والسلام فقد تحددت معالم الأسرة، وما يربط بين أفرادها وحدود هذه الروابط، والحقوق المشتركة والمتبادلة بينهم، بمعنى أنه أصبح هناك نظاماً مشروعاً في التعامل الأسري، وأصبح هناك ضوابطاً محددة لذلك، فقد تكفل الإسلام ببيان أحكام الأسرة، في آيات عديدة من القرآن الكريم، وفي سنة سيد المرسلين مثل أحكام الزواج، والطلاق، والإرث، والوصية، والمعاشرة، وآداب الألفة، والبر بالوالدين، وصلة الأرحام.

(١) محمد علوي أدب الإسلام في نظام الأسرة، الطبعة الأولى دار الرفاعي للنشر، ص١١



ولأن أكبر ما يؤثر في سعادة الأسرة هو جانب التعامل بين أفرادها، سنتطرق فيما يلي لأخلاقيات التعامل الأسري ومفهوم الأخلاق.



أخلاقيات التعامل

المقصود بأخلاقيات التعامل الأسري هي الصفات التي يحسن بالمسلم أن يتحلى بها عند تعامله مع أفراد أسرته.

ولا شك أن المسلم إذا اتصف بحسن الخلق حاز سبقاً عظيماً في تعامله مع من حوله، بل حتى في تعامله مع ذاته هو، فسوف يجد طمأنينة واستقرارا نفسياُ لتوافق ما يحمل من إيمان وعمل صالح مع ما يتحلى به من أخلاق كريمة قد حث الإسلام عليها [(١)].

ومن يتأمل أحوال البشر جميعاً يجد أنهم قد فطروا على قبول ما يستحسن من الأخلاق، ورفض ما يكره منها، وقد كان الناس وهم يعيشون في جاهلية جهلاء يقدرون صاحب الأخلاق الكريمة، ويكبرونه، ويحترمونه، لاتصافه بحسن الخلق.

ولذلك عبر رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أهمية الأخلاق والاتصاف بها بقوله "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" [(٢)]، ووصف عليه الصلاة السلام حسن الخلق بأوصاف عظيمة، وأنزل صاحبها منازل رفيعة فمن ذلك أن صاحب الأخلاق الحسنة هو أحب عباد الله إلى الله، وأن خير ما أعطي الإنسان الخلق الحسن، وأن صاحب الخلق الحسن هو أحسن الناس إسلاماً، وأكملهم إيماناً، وأيضاً فإن صاحب الخلق

---

(١) الغزالي إحياء علوم الدين، الطبعة الأولى دار الخير ١٧٧/٣

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ٨٩٣٩. وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ٢٠٧



الحسن يصل بحسن خلقه درجة الصائم القائم، كل تلك العبارات في بيان أهمية حسن الخلق تبين ما له دور كبير في صياغة الشخصية المسلمة السعيدة (١).

وهو قبل ذلك خلق الرسول عليه الصلاة والسلام الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤]، وهو وصيته لأصحابه رضي الله عنهم ووصية أصحابه بعضهم بعضاً.

معنى الخلق:

الخلق - بضم اللام وسكونها - هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختلفة (٢).

ويفصل الغزالي رحمه الله تعالى في تعريف الخلق فيقول: (ويراد بالخلق الصورة الظاهرة، ويراد بالخلق الصورة الباطنة، وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر، ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة، إما قبيحة وإما جميلة، فالنفس المدركة بالبصيرة، أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمر الإنسان، بإضافته إليه، إذ قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص:٧١-٧٢].

فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح إلى رب العالمين، والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد، فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر

(١) محمد جاد المولى الخلق الكامل، الطبعة الأولى ١٣٥٥ المطبعة العثمانية المصرية ٣/١

(٢) ابن منظور لسان العرب الطبعة الأولى الدار بيروت ١٩٤/٤



الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً [1].

معنى حسن الخلق:

حسن الخلق هو سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى، وقد يكون فيما بين الناس. وهو في ذات الله تعالى أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله ونواهيه، يفعل ما فرض عليه، طيب النفس به سلساً نحوه، وينتهي عما حرم عليه واسعاً به غير متضجر منه، ويرغب في نوافل الخير، ويترك كثيراً من المباح لوجه الله تعالى إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله، مستبشراً لذلك غير ضجر منه ولا متعسر به.

وفيما بينه وبين الناس أن يكون سمحاً في تعامله، متصفاً بمكارم الأخلاق من الكرم والتواضع ولين الجانب، والصدق والأمانة، ولين الكلام، وحسن العشرة ونحو ذلك من الصفات الطيبة العظيمة.

فأخلاقيات التعامل الأسري هي:

الصفات الأخلاقية الحسنة التي يجب أن يكون عليها المسلم والمسلمة في حياتهم الأسرية، مع الوالدين، والزوج، والولد، والأرحام، والأصهار، والخدم، والجيران.

(١) الغزالي إحياء علوم الدين الطبعة الاولى دار الخير ٣/٥٣



الفصل الأول:

الحياة الأسرية للنبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول: النشأة الأسرية للنبي عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثاني: الأسرة الشخصية الأولى للنبي عليه الصلاة والسلام.

المبحث الثالث: الحياة الزوجية للنبي عليه الصلاة والسلام.





المبحث الأول: النشأة الأسرية للنبي ﷺ

هذا المبحث يجيب عن الأسئلة الآتية:

ما الأصول الأسرية للنبي عليه الصلاة والسلام؟

كيف كانت نشأة الرسول الأسرية في طفولته؟

وما الحكمة من ذلك؟

ومع من نشأ؟

وكيف كان تعامله مع من نشأ معهم؟

وما نظرة المجتمع المكي له في طفولته؟

وما تأثير تلك النشأة على الأسرة التي نشأ فيها؟



قبل البدء يجب أن يعلم أن أسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي تسمى أسرة بني هاشم هي خير أسر البشرية جمعاء، وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام، لعمه العباس رضي الله عنه: "إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم، من خير فرقهم ومن خير الفريقين، ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً " [١]، وعن شداد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم" [٢] .

وهذه الخيرية الأسرية، كانت محط أنظار جميع من كان يدعوهم، رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ إن الناس تميل إلى من يتميز بميزة يفتقدونها، لا سيما إن كانت في الشرف والنسب، ويؤيد ذلك اعتراف أبي سفيان وهو عدو قبل أن يسلم. فعندما سأله هرقل عن نسب محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: هو ذو نسب [٣]، فلم يستطع أن ينكر هذه الميزة ثم إن النسب هو من أعظم ما كانت تفتخر به العرب، في أشعارهم ونواديهم.

وامتداد النسب الشريف إلى أبي الأنبياء وشيخ الموحدين، إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، يجلي هذه الحقيقة ويزيدها وضوحاً وتبياناً.

---

(١) رواه الترمذي في سننه، وقال حديث حسن كتاب المناقب باب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم برقم ٣٦٢٧

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، رقم الحديث ٦٠٧٧

(٣) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الوحي، باب بدء الوحي برقم ٦



ويشاء الله سبحانه وتعالى، أن ينشأ النبي عليه الصلاة والسلام في أسرة غير متكاملة الأطراف، فأبوه قد مات وهو حمل في بطن أمه، وأمه ماتت وهو لم يجاوز السادسة من عمره، ولم يكن له إخوة ولا أخوات (١)، ولله تبارك وتعالى الحكمة البالغة في ذلك، فلم يكن أحد له فضل عليه سوى ربه تبارك وتعالى، حتى لو كان الوالدين أو الإخوة، وفي هذا المعنى يقول الله تبارك وتعالى ممتناً على نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ٦-١١].

فقد آواه الله وحفظه بتسخير جده عبد المطلب له ثم عمه أبي طالب لرعايته وتنشئته وكفالته، وقد حفظه الله من الضلال وسلوك سبيل الغي بسلوك سبيل الهداية والاهتداء، إلى الطريق القويم والسبيل المستقيم، والبعد عن كل ما كان منتشراً في البيئة المكية من مخالفات للفطرة السوية، وسلوكيات مشينة غير مرضية، فنشأ محفوظاً بحفظ الله مكلوءاً برعاية الله، مسدداً بتوفيق الله.

ويظهر هذ الحفظ وهذه الرعاية وهذه الخيرية في مواقف عدة في طفولته، ولكن أكتفي بموقف واحد من تلك المواقف، ألا وهو حادثة رضاعته، في بني سعد، حيث يظهر فيها الجوانب الأخلاقية الفطرية التي منحه إياها ربه تبارك وتعالى،

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، الطبعة ١٤١٥هـ، دار الفكر ١/ ١٤٨



قال ابن إسحاق رحمه الله[1]:كانت حليمة تحدث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء قالت: وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئًا، قالت: فخرجت على أتان لي قمراء، ومعنا شارف لنا، والله ما تَبِضُّ بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أذَمَّتْ بالركب حتى شق ذلك عليهم، ضعفًا وعجفًا، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعًا غيرى ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله ، إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه وأخذته، وما حملني على أخذه إلا أنى لم أجد غيره، قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك ، فإذا هي حافل، فحلب منها ما شرب وشربت

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٤٣



معه حتى انتهينا ريا وشبعا، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك. قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك! أرْبِعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها شأنًا، قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شباعًا لُبَّنًا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم، اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعًا ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا لبنًا. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يشب شبابًا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جفرًا. قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت ابني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا.

وفي بني سعد حدثت له حادثة شق الصدر، روى مسلم عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه



فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طَسْت من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَه - أي جمعه وضم بعضه إلى بعض - ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعنى ظئره - فقالوا: إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو مُنْتَقِعُ اللون - أي متغير اللون - قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره [(١)].

وبعد هذه المرحلة كما يقول أهل السير: كان سول الله مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه، ينبته الله نباتاً حسناً، لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب [(٢)].

ونشأ مع أعمامه ابتداء، عندما كان في حياة جده عبد المطلب، وقد كان جده يهتم به وينزله منزلاً لا يحظى به أحد من أعمامه، قال ابن هشام: كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالًا له، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب

(١) رواه مسلم، في صحيحه كتاب الإيمان برقم ٤٣١

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، الطبعة ١٤١٥هـ، دار الفكر ١/ ١٤٨



إذا رأي ذلك منهم: دعوا ابني هذا، فوالله إن له لشأنًا، ثم يجلس معه على فراشه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع [1].

ثم بعد وفاة جده عبد المطلب انتقلت رعايته إلى عمه أبي طالب الذي كان يميزه هو أيضاً عن أولاده لما كان يرى فيه من صفات جليلة، وأخلاق حميدة، فشب في هذه الرعاية والعناية. وهو ينشأ هذه التنشئة الأسرية المميزة، كانت له مشاركات مع أسرته الأسرة الهاشمية، في بعض المواقف التي تتطلبها العادات الاجتماعية القائمة وقتئذ، ومن ذلك مشاركته مع أعمامه في حرب الفجار [2]، وكذلك مشاركته في حلف الفضول [3]، وكان يعتمد على نفسه في النواحي الاقتصادية، فكان يعمل بادئ ذي بدئ في رعي الغنم، ثم كان يعمل في التجارة، ومن هنا بدأ مرحلة أخرى حيث تم زواجه من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها التي كانت تكبره بخمس عشرة سنة، ليبدأ مرحلة أسرية أخرى هي مرحلة الاستقلال الشخصي، وتكوين الأسرة الشخصية.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، الطبعة ١٤١٥هـ، دار الفكر ١/ ١٤٨

(٢) المصدر نفسه ١/١٥٩

(٣) المصدر نفسه ١/١٢٠



نخلص من هذا المبحث إلى أن التنشئة الأولى للحياة الأسرية للنبي عليه الصلاة والسلام في طفولته كانت مميزة جداً من حيث الأحداث التي حصلت له ومن حيث نظرة المجتمع المكي له بما في ذلك المكانة العظيمة التي كان يتبوؤها في قلب جده عبد المطلب، وعمه أبي طالب، وكذلك علاقات القرابة مع الأسرة الهاشمية، إذ إن سيرته تؤكد أن جميعهم كانوا ينظرون إليه نظرة إجلال واحترام لما كان يتمتع به من خلق جميل ومعاشرة حسنة، ولو أنه لم تذكر كتب السيرة تفصيلات تلك الحياة الأسرية الأولى، ربما لأنه لم يكن أحد يوثق ذلك ولم يكن أحد ينقل تلك الأخبار بشكل تفصيلي، لكن هناك أحداث ووقائع كحادثة الحجر الأسود (١) ومثل إعجاب خديجة بنت خويلد به لأمانته وصدقه، ومثل تقديم جده، وأعمامه له، وكذلك الأنس به ومعه في قصة رضاعه في بني سعد، ووفاءه لأخته التي رضع من أمها حليمة السعدية وهي الشيماء بنت الحارث السعدية، عندما عفا عنها في غزوة حنين إذ كانت في الأسرى، وكذلك ما بدر منه من تعاون مع عمومته. وأبناء عمومته في حرب الفجار، وتعاطفه وتعاونه مع قريش في حلف الفضول كل تلك الأحداث والمواقف تبرز الجانب التعاملي الأخلاقي العظيم الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في تنشئته الأسرية الأولى.

(١) المصدر نفسه ١/١٦٥



المبحث الثاني: الأسرة الشخصية الأولى للنبي ﷺ

هذا المبحث يجيب على التساؤلات التالية:

ما هي أول أسرة شخصية كونها النبي عليه الصلاة والسلام؟

كيف كانت البداية؟

ومم تتكون؟

وما الأحداث التعاملية التي ظهرت خلال سيرته في أسرته الشخصية الأولى؟

وما أبرز الجوانب الأخلاقية التي ظهرت في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الأسرة؟

وما مظاهر النجاح والسعادة في تلك الأسرة؟



يبدأ تكوين الأسرة الشخصية الأولى للنبي عليه الصلاة والسلام، من بداية زواجه بخديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهذه نبذة مختصرة عن قصة زواجه منها رضي الله عنها وأرضاها:

كانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال، فلمّا بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالٍ لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له مَيْسَرة، فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم وخرج في مالها حتى قَدِم الشام، وفي الطريق نزل الرسول صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان فسأل الراهب ميسرة: من هذا الرجل؟ ... فأجابه: "رجل من قريش من أهل الحرم" ... فقال الراهب: "ما نزل تحت هذه الشجرة قطٌ إلا نبي"

ثم وصلا الشام وباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد، ثم أقبل قافلاً الى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتدَّ الحرّ يرى مَلَكين يُظلاَّنه صلى الله عليه وسلم من الشمس وهو يسير على بعيره... ولما قدم صلى الله عليه وسلم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فربحت ما يقارب الضعف... ولما رجع إلى مكة، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأي فيه صلى الله عليه وسلم من



خلال عذبة، وشمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين، وجدت ضالتها المنشودة. وكان السادات والرؤساء يحرصون على زواجها فتأبى عليهم ذلك. فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه، فذهبت إليه صلى الله عليه وسلم تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضى بذلك، وكلم أعمامه، فذهبوا إلى عم خديجة وخطبوها إليه، وعلى إثر ذلك تم الزواج، وحضر العقد بنو هاشم ورؤساء مضر، وذلك بعد رجوعه من الشام بشهرين، وأصدقها عشرين بَكْرة. وكانت سنها إذ ذاك أربعين سنة، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسبًا وثروة وعقلًا، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت [(١)].

وكان أول المتكلمين في عقد النكاح أبو طالب فقال: (الحمد لله الذي جعلنا من ذريّة إبراهيم، وزرع إسماعيل وضئضئ معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسُوّاس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجلٍ إلا رجح به، وإن كان في المال قِلاّ، فإن المال ظِلّ زائل، وأمر حائل، ومحمد مَنْ قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد، وقد بذل لها من الصداق ما آجله وعاجله اثنتا عشرة أوقية ذهباً ونشاً –أي نصف أوقية– وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطر جليل) ثم وقف ورقة بن نوفل فخطب

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، الطبعة ١٤١٥هـ، دار الفكر ١/ ١٦١



قائلا: (الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عددت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يردُّ أحدٌ من الناس فخركم ولا شرفكم، وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا يا معشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله) ، كما تكلم عمُّها عمرو بن أسد فقال: (اشهدوا عليّ يا معاشر قريش أنّي قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد)، وشهد على ذلك صناديد قريش[1].. تزوج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة قبل البعثة بخمس عشرة سنة، وولدت له ولده كلهم إلا إبراهيم، وهم القاسم -وبه كان يكنى-، والطاهر والطيب -لقبان لعبد الله -، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، فأما القاسم وعبد الله فماتوا قبل البعثة، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم، الا زينب فهاجرت بعد غزوة بدر. وكان زواجهم على النحو التالي: فأما زينب فتزوجها قبل الهجرة ابن خالتها، أبو العاص بن الربيع، وأما رقية وأم كلثوم فقد تزوجهما عثمان بن عفان رضي الله

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٦٣ وهذه الرواية لم أجدها بنصها في سيرة ابن هشام، وإنما كانت هناك إشارة إلى خطبته وصداق خديجة رضي الله عنها. وقد ذكر هذه الخطبة الدكتور أبو شهبة رحمه الله في كتابة السيرة النبوية في ضوء القران والسنة، الجزء الاول ص٢٢٢، طبعة دار القلم الاولى، وكذلك الشيخ أسعد الصاغرجي، في كتابه سيدنا محمد رسول الله، الطبعة الأولى، ص١٣٩، ونسبها إلى كتاب الشرف للنيسابوري.



عنه الواحدة بعد الأخرى، وأما فاطمة فتزوجها على بن أبي طالب بين بدر وأحد، ومنها كان الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم [1].

وبعد الزواج الميمون بخمسة عشر عاماً نزل الوحي على النبي –صلى الله عليه وسلم– فآمنت به خديجة، وصدقت بما جاءه من الله، ووازرته على أمره، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله، وصدقت بما جاء به، فخفف الله بذلك عن نبيه –صلى الله عليه وسلم– لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عليه وتصدقه، وتهون عليه أمر الناس، قال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قَصَب –اللؤلؤ المنحوت–، لا صخب فيه ولا نصب" [2]

وفي العام العاشر من البعثة النبوية وقبل الهجرة بثلاث سنين توفيت خديجة –رضي الله عنها–، التي كانت للرسول –صلى الله عليه وسلم– وزير صدق على الإسلام، يشكو إليها ويأنس بقربها[3]، وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة ما لم يثن على غيرها، فتقول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها،

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٦٣

(٢) رواه مسلم، في صحيحه كتا ب فضائل الصحابة، برقم ٦٤٢٧

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، الطبعة ١٤١٥هـ، دار الفكر ٢/ ٥٥.



فذكرها يوماً من الأيام فأخذتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها ...فغضب ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنتْ بي إذْ كفرَ الناس، وصدَّقتني إذ كذَّبَني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء[1].

هذا مجمل سيرة أم المؤمنين الأولى خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ويظهر في سيرتها أن الله تبارك وتعالى أرادها لها الخير باختيارها أن تكون زوجة لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وأن تكون أماً لأولاده الستة، وأماً للمؤمنين وقد نالت بذلك شرف الدنيا وشرف الآخرة.

وعند التأمل في الجانب التعاملي من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، فإننا نجد أن الذي دفع بخديجة رضي الله عنها، لطلب الزواج منه هو ما كان يتحلى به من جميل الصفات ومكارم الأخلاق، التي سمعت بها عنه، والتي رأتها في تعامله معها في تجارتها، وقد كانت عاقلة حكيمة راشدة تقدر للأمور قدرها.

ومن أبرز مظاهر نجاح تلك الأسرة وسعادتها أنه لا يوجد في كتب السير ما يشير إلى وقوع أي خلاف في البيت النبوي الأول، رغم أن تلك الأسرة استمرت خمسة

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ٢٤٩٠٨، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح، وهذا سند حسن في المتابعات.



وعشرين عاماً، وهي المدة التي تعتبر أطول مدة قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع زوجة من زوجاته، وربما هذا يفسر عمق التأثير الوجداني في قلب رسول الله عليه الصلاة والسلام، في حبه تجاه خديجة رضي الله عنها ، حيث ما زال يتذكرها ويتذكر حبها، حتى بعد وفاتها، بل ويكثر من ذكرها، حتى عند نسائه، بل كان يحسن إلى صويحباتها ويكرمهن، وفي فداء الأسرى بعد غزوة بدر، أرسلت ابنته زينب، في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع ، قلادة كانت عندها لخديجة، فلما رآها ـ القلادة رق لها صلى الله عليه رقة شديدة، واستأذن أصحابه في إطلاق أبي العاص ففعلوا، واشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي العاص أن يخلى سبيل زينب، فخلاها فهاجرت، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ورجلًا من الأنصار، فقال: (كونا ببطن يَأجَج حتى تمر بكما زينب فتصحباها)، فخرجا حتى رجعا بها[١].

إن الركيزة الأساسية التي تعتمد عليها الأسرة في بنائها الصحيح وقوتها وتماسكها وثباتها ونجاحها هي ركيزة المحبة والحب، وأول ما يكون الحب بين الزوج وزوجته، ذلك أن الحب حاجة فطرية في تحريك النفس البشرية، ولا يتصور أن تكون هناك حركة لا تنشأ عن الحب، في جميع الماديات، من كائنات حية وغير حية [٢]، فكل حركة في

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، الطبعة ١٤١٥هـ، دار الفكر ٢/ ١٦١.

(٢) حيث اثبت العلم الحديث في مجال كيمياء المادة: أن حركة كل مكونات المادة من ذرات ونحوها هي ميلها للاستقرار، والذي يمكن أن يعبر عنه في عالم الأحياء بالمحبة.



هذا الكون إنما تنشأ عن محبة، إما محبة محمودة أو محبة مذمومة [1]، ولذلك فنحن نرى عمق هذا الحب العظيم الذي كان يعيش به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لزوجته خديجة رضي الله عنها، والتي كانت تبادله إياه أيضاً، وتحكي لنا روايات السيرة مواقف من عمق هذا الحب وبروز مظاهره في وقت الأزمات، فمن ذلك ما حدث من خديجة رضي الله عنها وهي تهون على رسول الله، وتهدئ من روعه عندما فاجأه الملك أول مرة وهو بغار حراء، فرجع إليها يرجف فؤاده، فقالت قولتها المشهورة مثبتةً له، مؤازرة إياه: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر[2]، ثم تغطيه بلطف وحنان، وتأخذه بيد ملؤها الدفء والمحبة، إلى عمها ورقة بن نوفل، ليزداد معرفة وثباتاً.

إن مشاعر الحب هذه هي التي تصنع أسراً قوية متماسكة، وبقدر ما يكون الحب كبيراً بين الركنين العظيمين فيها الزوج والزوجة بقدر ما يفيض ذلك على الأبناء والبنات والإخوة والأخوات فتعيش الأسرة في سعادة وهناء دائمين.

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٤٨).

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، الطبعة ١٤١٥هـ، دار الفكر ٢/ ٢٠٦.



المبحث الثالث: الحياة الزوجية للنبي ﷺ

هذا المبحث يجيب عن التساؤلات التالية:

من هن زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد خديجة؟

وكيف كانت حياتهن معه؟

وما أبرز المواقف الأخلاقية من رسول الله عليه الصلاة والسلام معهن؟

وما الأساليب التي كان يتعامل بها رسول الله في حل المشاكل في بيت الزوجية؟



قد خص الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام، بإباحة التعدد بأكثر مما هو مباح لأمته، وذلك لحكم عظيمة، ذكرها العلماء -ليس المجال لذكرها هنا- وسوف أذكر فيما يلي أمهات المؤمنين اللاتي تزوجهن رسول الله بعد وفاة خديجة رضي الله عنها، وعددهن عشر نسوة سوى خديجة، قد ماتت منهن واحدة في حياته وهي زينب أم المساكين رضي الله عنها، وتوفي رسول الله عن التسع الباقيات، وترتيب زواجه منهن على النحو التالي:

١. **سودة بنت زمعة** رضي الله عنها، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة عشر من النبوة، بعد وفاة خديجة بنحو شهر، وكانت قبله عند ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو، فمات عنها. توفيت بالمدينة في شوال سنة٥٤هـ.

٢. **عائشة بنت أبي بكر الصديق** رضي الله عنها، تزوجها في شوال سنة إحدى عشرة من النبوة، بعد زواجه بسودة بسنة، وقبل الهجرة بسنتين وخمسة أشهر، تزوجها وهي بنت ست سنين، وبني بها في شوال بعد الهجرة بسبعة أشهر في المدينة، وهي بنت تسع سنين، وكانت بكراً ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت أحب الخلق إليه، وأفقه نساء الأمة، وأعلمهن على الإطلاق، فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. توفيت في ١٧رمضان سنة ٥٧هـ ودفنت بالبقيع.

٣. **حفصة بنت عمر بن الخطاب** رضي الله عنها، تأيمت من زوجها خنيس بن خذافة السهمي بين بدر وأحد، فلما حلت تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة ٣هـ توفيت في شعبان سنة ٤٥هـ بالمدينة، ولها ستون سنة ودفنت بالبقيع.

٤. **زينب بنت خزيمة من بنى هلال بن عامر بن صعصة** رضي الله عنها، وكانت تسمى أم المساكين، لرحمتها اياهم ورقتها عليهم، كانت تحت عبد الله بن جحش، فاستشهد في أحد، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ٤ هـ.



ماتت بعد الزواج بنحو ثلاثة أشهر في ربيع الآخر سنة ٤هـ، فصلى عليها النبي صلى الله عليه وسلم، ودفنت بالبقيع.

٥. **أم سلمة هند بنت أبي أمية** رضي الله عنها، كانت تحت أبي سلمة وله منها أولاد، فمات عنها في جمادى الآخر سنة ٤ هـ، فتزوجها رسول صلى الله عليه وسلم في ليال بقين من شوال السنة نفسها، وكانت من أفقه النساء وأعقلهن. توفيت سنة ٥٩هـ، ودفنت بالبقيع، ولها ٨٤ سنة.

٦. **زينب بنت جحش بن رباب من بنى أسد بن خزيمة** رضي الله عنها، وهي بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت تحت زيد بن حارثة – الذي كان يعتبر ابنا للنبي صلى الله عليه وسلم فطلقها زيد، فلما انقضت العدة أنزل الله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وفيها نزلت من سورة الأحزاب آيات فصلت قضية التبني، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة، وكانت أعبد النساء وأعظمهن صدقة، توفيت سنة ٢٠هـ ولها ٥٣ سنة. وكانت أول أمهات المؤمنين وفاة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، صلى عليها عمر بن الخطاب، ودفنت بالبقيع.

٧. **جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق من خزاعة** رضي الله عنها، كانت في سبي بنى المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبها، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابتها، وتزوجها في شعبان سنة ٦ هـ. وقيل: سنة ٥هـ، فأعتق المسلمون مائة أهل بيت من بني المصطلق، وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أعظم النساء بركة على قومها. توفيت في ربيع الأول سنة ٥٦هـ، ولها ٦٥ سنة.



٨. **أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان** رضي الله عنها، كانت تحت عبيد الله بن جحش، فولدت له حبيبة فكنيت بها، وهاجرت معه إلى الحبشة، فارتد عبيد الله وتنصر، وتوفي هناك، وثبتت أم حبيبة على دينها وهجرتها، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أميه الضمري بكتابه إلى النجاشي في المحرم سنة ٧ هـ، خطب عليه أم حبيبة فزوجها إياه وأصدقها من عنده أربعمائة دينار، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة، فابتنى بها النبي صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من خيبر، توفيت سنة ٤٢ هـ.

٩. **صفية بنت حيي بن أخطب سيد بنى النضير** رضي الله عنها، كانت من سبي خيبر، فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، وعرض عليها الإسلام فأسلمت، فأعتقها وتزوجها بعد فتح خيبر سنة ٧هـ، وابتنى بها بسد الصهباء على بعد ١٢ ميلا من خيبر في طريقه إلى المدينة. توفيت سنة ٥٠ هـ ودفنت بالبقيع.

١٠. **ميمونة بنت الحارث** رضي الله عنها، أخت أم الفضل لبابة بنت الحارث، تزوجها في ذي القعدة سنة ٧ هـ، في عمرة القضاء، بعد أن حل منها. وابتنى بها بسرف على بعد ٩ أميال من مكة، وقد توفيت بسرف سنة ٦١ هـ، ودفنت هناك، ولا يزال موضع قبرها معروفا [١].

أما حياته معهن فكانت حياة مليئة بالسعادة والهناء، فقد استطاع عليه الصلاة والسلام أن يعدل بينهن فيما يملك، مع كثرتهن وتفاوت أعمارهن، وأنسابهن، وقد حفلت روايات السيرة بالمواقف العديدة التي تجسد كثيرا من المواقف الأخلاقية التي كان يتعامل بها رسول الله صلى الله عليه مع زوجاته، ومن ذلك ما يلي:

---

(١) انظر: المباركفوري، الرحيق المختوم، الطبعة الأولى رابطة العالم الإسلامي ص٥٣٢



أولاً: الوفاء

أما الوفاء لهن فلعله قد علم مما تقدم من شأنه مع خديجة رضي الله عنها، وتطبيق النبي صلى الله عليه وسلم له في بابه، حتى بلغ من وفائه أن غارت منها عائشة –رضي الله عنها– وهي لم تدركها ولم تضارها حتى قالت: " ما غرت على امرأة لرسول الله كما غرت على خديجة، لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها وثنائه عليها، وقد أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبشرها ببيت لها في الجنة من قصب "[1].

– ومن صور وفائه معهن أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت آية التخيير ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٢٨﴾ [الأحزاب: ٢٨]، تقول عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء حين أمر الله أن يخير أزواجه، فبدأ بي فقال: (إني ذاكر لك أمرا، فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك). وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة "[2] ويظهر أن الحكمة من أمرها بأن تستأمر ابويها هو خشية منه أن تختار زينة الحياة الدنيا لصغر سنها، فتخسر الخير الكثير في الدنيا والآخرة، لكنها كانت أحرص على خير نفسها

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن برقم: ٥٢٢٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب قل لأزواجك .... الرقم: ٤٧٨٥



من أبويها، فقالت للنبي صلى الله عليه وسلم: " أفي هذا أستأمر أبويَّ؟! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ".

ثم استقرأ الحُجَر (البيوت) يخبر نساءه ويقول لهن: "إن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كذا وكذا فقلن: ونحن نقول مثل ما قالت عائشة –رضي الله عنهن كلهن. وكانت عائشة –رضي الله عنها– قالت له يا رسول الله لا تخبر أزواجك أني اخترتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا [(١)]، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وذلك يدل على أنهن –رضي الله عنهن– كنَّ قد تخلَّقن بأخلاق النبوة، فأصبحن يخترن ما اختاره صلى الله عليه وسلم لنفسه من الزهادة في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وذلك لبالغ تأثرهن بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت محل العظمة والكمال.

---

(١) رواه الترمذي في سننه وقال هذا حديث حسن صحصح غريب، قد روي من غي وجه، عن ابن عباس، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التحريم ..... برقم ٣٨١٨وحسنه الألباني.



ثانياً: العدل مع زوجاته

أما عدله صلى الله عليه وسلم بين أزواجه فهو ناشئ عن الشعور بالمسؤولية، ومن فِطرة الله تعالى له على الحق والعدل وبعثه بهما. ومن ذلك الصور التالية:

كان صلى الله عليه وسلم لا يفضل أحداً من نسائه على الأخرى، كما قالت عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله يومي لعائشة فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا ﴾ [النساء: ١٢]

١.ولم يكن يتغير حاله صلى الله عليه وسلم في العدل تبعًا لتغير أحواله سفرًا وحضرًا، بل لقد كان يعدل في سفره كما يعدل في حضَره، كما قالت عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، تبتغي بذلك رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الهبة باب هبة المرأة لغير زوجها برقم ٢٥٩٣



٢.وكان من عدله صلى الله عليه وسلم بينهن أنه كان إذا تزوج ثيِّبًا أقام عندها ثلاثًا لإيناسها، ثم يقسم لها كسائر نسائه، كما روت أم سلمة – رضي الله عنها – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام عندها ثلاثًا، وقال لها: إن شئت سبعت عندك وسبعت عندهن وإن شئت ثلثت عندك ودرت فقالت ثلث(١).

٣.ولقد بلغ به الحال في عدله صلى الله عليه وسلم أنه لم يفرِّط فيه حتى في مرض موته، حيث كان يُطاف به عليهن في بيوتهن كل واحدة في نوبتها، قالت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–: " لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد وجعه، استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي، فأذن له، فخرج بين رجلين تخط رجلاه الأرض، وكان بين العباس وبين رجل آخر، فقال عبيد الله: فذكرت لابن عباس ما قالت عائشة، فقال لي: وهل تدري من الرجل الذي لم تسم عائشة؟ قلت: لا، قال: هو علي بن أبي طالب (٢) وفي رواية قالت: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: (أين أنا غدا، أين أنا غدا). يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي يدور عليَّ فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر، ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن،

---

(١) رواه مالك في الموطأ كتاب النكاح باب المقام عند البكر والايم برقم٩٧٣

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب هبة الرجل ...برقم ٢٥٨٨



فأعطانيه، فقضمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به، وهو مستند إلى صدري[1]

٤.ومع ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من كمال العدل بين نسائه في كل ما يقدر عليه مما هو (في يده) فإنه مع ذلك كان يعتذر إلى الله تعالى فيما لا يقدر عليه مما هو خارج عن نطاق التكليف، كما قالت السيدة عائشة - رضي الله عنها-: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول: "اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك") [2]، وهو يعني بذلك القلب كما فسَّره به أبو داود، وقال: يعني الحب والمودة، كما فسره الترمذي، والمعنى: أن القسمة الحسِّية قد كان صلى الله عليه وسلم يوفِّي بها على الوجه الأكمل لأنها بيده، لكن القلب بيد الله، وقد جعل فيه حب عائشة أكثر من غيرها، وذلك خارج عن قدرته وإرادته.

وفي عشرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أسوة للمؤمنين، وعليهم معرفتها والتأسي بها لقول الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: ٢١] لأن فعله صلى الله عليه وسلم كقوله وتقريره، تشريع لأمته، وهدى لهم، يجب عليهم الاقتداء به ما لم يكن الفعل خاصاً به.

(١) رواة البخاري في صحيحة كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته برقم ٤٤٥٠

(٢) رواه ابو داود في سننه كتاب النكاح باب في القسم بين النساء برقم ١٨٢٢ وقال الحكم في مستدركه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.



ثالثاً: إظهار عاطفة المحبة والتقدير والعطف لزوجاته

إن المتأمل في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقدر الزوجة ويوليها عناية فائقة.. ومحبة لائقة، ولقد ضرب أروع الأمثلة في ذلك حيث تجده أول من يواسيها.. يكفكف دموعها.. يقدر مشاعرها.. لا يهزأ بكلماتها.. يسمع شكواها.. يخفف أحزانها.. ويتنزه معها ويسابقها، ويحتمل صدودها ومناقشتها ويحترم هويتها ولا ينتقصها أثناء الأزمات، بل ويعلن حبه لها ويسعد بذلك الحب، وذلك في مواقف متعددة منها:

١. تقدير المشاعر والأحاسيس:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة: إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى. قالت فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا. ورب محمد! وإذا كنت غضبى، قلت: لا. ورب إبراهيم! قالت: قلت: أجل. والله! يا رسول الله! ما أهجر إلا اسمك [١].

٢. تقدير الغيرة والحب:

عن أم سلمة رضي الله عنها أنها: أتت بطعام في صحفة لها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فجاءت عائشة متزرة بكساء، ومعها فهر، ففلقت به الصحفة، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين فلقتي الصحفة، ويقول: كلوا غارت

(١) رواه مسلم في صحيحة كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٣٩



أمكم مرتين، ثم أخذ رسول الله صحفة عائشة رضي الله عنها، فبعث بها إلى أم سلمة رضي الله عنها، وأعطى صحفة أم سلمة عائشة رضي الله عنهن[١].

٣. يتفهم نفسية الزوجة وطبيعتها:

قال صلى الله عليه وسلم: " استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء"[٢] والحديث ليس على سبيل الذم كما يفهم العامة بل لتفهيم وتعليم الرجال. وفي الحديث فهم عجيب لطبيعة المرأة وفيه إشارة إلى إمكانية ترك المرأة على اعوجاجها في بعض الأمور المباحة، وألا يتركها على الاعوجاج إذا تعدت ما طبعت عليه من النقص كفعل المعاصي وترك الواجبات.

٤. الشكوى لها واستشارتها:

استشار النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته في أدق الأمور، ومن ذلك استشارته صلى الله عليه وسلم لأم سلمة في صلح الحديبية لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم القضية بينه وبين مشركي قريش، وذلك بالحديبية عام الحديبية، قال لأصحابه: قوموا فانحروا واحلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر ذلك لها، فقالت أم سلمة: يا نبي الله! اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم بكلمة، حتى تنحر بدنك وتدعو حلاقك

---

(١) رواه النسائي في سننه الصغرى كتاب عشرة النساء باب الغيرة برقم ٣٩٥٦ وقال عنه الألباني: صحيح

(٢) رواه البخاري في صحيحة كتاب أحاديث الانبياء باب خلق آدم وذريته برقم ٣٣٣١



فتحلق! فقام فخرج فلم يكلم منهم أحدا، حتى فعل ذلك، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما [١].

٥. إظهار المحبة والوفاء لزوجته

قال صلى الله عليه وسلم لعائشة في حديث أم زرع الطويل والذي رواه البخاري: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع " أي: أنا لك كأبي زرع في الوفاء والمحبة فقالت عائشة: بأبي وأمي لأنت خير من أبي زرع لأم زرع [٢].

٦. المداعبة بالاسم (التدليل)

كان صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة: "يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام" فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، وكان يقول لعائشة أيضاً يا حميراء، والحميراء تصغير حمراء يراد بها البياض [٣].

(١) القصة بكمالها رواها الإمام البخاري في صحيحة كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب وكتابة الشروط برقم٢٧٣٢

(٢) رواه البخاري في صحيحة كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الاهل برقم ٥١٨٩

(٣) رواه البخاري في صحيحة كتاب فضائل اصحاب النبي ^ باب فضل عائشة رضي الله عنها برقم ٣٤٨٤



٧. الأكل والشرب موضع فمها

تقول عائشة رضى الله عنها: كنت أشرب وأنا حائض. ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم. فيضع فاه على موضع في. فيشرب. وأتعرق العرق وأنا حائض. ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم. فيضع فاه على موضع في [١].

٨. لا يتأفف من ظروفها

تقول عائشة رضى الله عنها: كنت أُرجِّل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حائض (يعنى أسرح) شعره وأنا حائض [٢]

٩. يتكئ ويذكر الله على حجرها

تقول عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان يتكئ في حجري وأنا حائض، ثم يقرأ القرآن [٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحة كتاب الحيض برقم ٣٠٠ (والعرق: العظم عليه بقية من اللحم – وأتعرق أي آخذ عنه اللحم)

(٢) رواه البخاري في صحيحة كتاب الحيض باب غسل الحائض رأس زوجها وترجيله برقم٢٩٥

(٣) رواه البخاري في صحيحة كتاب الحيض باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض برقم٢٩٧



١٠. التنزه معها ومصاحبتها

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا خرج، أقرع بين نسائه. فطارت القرعة على عائشة وحفصة. فخرجتا معه جميعا. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا كان بالليل، سار مع عائشة، يتحدث معها. فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك، فتنظرين وأنظر؟ قالت: بلى. فركبت عائشة على بعير حفصة. وركبت حفصة على بعير عائشة. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جمل عائشة، وعليه حفصة، فسلم ثم سار معها. حتى نزلوا. فافتقدته عائشة فغارت. فلما نزلوا جعلت تجعل رجلها بين الإذخر وتقول: يا رب! سلط علي عقربا أو حية تلدغني. رسولك ولا أستطيع أن أقول له شيئا (١)

١١. المساعدة في أعباء المنزل

سئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في البيت؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج (٢) وسُئلت عائشة رضى الله عنها ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته؟ قالت: كان يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه (٣) وقالت أيضا: كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم (٤)

---

(١) رواه مسلم في صحيحة كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٤٥

(٢) رواه البخاري في صحيحة كتاب النفقات باب خدمة الرجل في أهلة برقم ٥٣٦٣

(٣) اخرجة السيوطي في الجامع الصغير برقم ٩١٢٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٩٩٦

(٤) صحيح الجامع الألباني الرقم: ٤٩٣٧



١٢. يتحمل من أجل سعادتها

أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل على عائشة رضي الله عنها وعندها جاريتان تضربان بالدف، وتغنيان، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه وفي لفظ: متسج ثوبه، فكشف عن وجهه، فقال: دعهما يا أبا بكر! إنها أيام عيد، وهن أيام منى، ورسول الله يومئذ بالمدينة [١].

١٣. يهدي ويتودد لأحبتها

تقول عائشة رضي الله عنها: ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة. وإني لم أدركها. قالت: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة فيقول " أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة " قالت، فأغضبته يوما فقلت: خديجة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إني قد رزقت حبها "[٢]

١٤. يمتدح ويشكر فيها

فقد قال عليه الصلاة والسلام في حق عائشة: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[٣].

(١) اخرجه السيوطي في الجامع الصغير برقم ٩٠٦٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم١٥٩٦

(٢) رواه مسلم في صحيحة كتاب فضائل الصحابة برقم ٢٤٣٥

(٣) رواه مسلم في صحيحة كتاب فضائل الصحابة برقم: ٢٤٤٦



١٥. يفرح عند فرحها

عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: وكانت تأتيني صواحبي. فكن ينقمعن من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسربهن إليّ [١].

١٦. يسعد بفرحها ولعبها

تقول عائشة رضى الله عنها: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة من غزوة وفي سهوتي (أي: مخدعي) ستر، فهبت الريح فانكشفت ناحية الستر عن بنات لي لعب، فقال: ما هذا؟ قالت: بناتي قال: ما هذا الذي في وسطهن؟ قالت: فرس قال: ما هذا الذي عليه؟ قالت جناحان قال: فرس لها جناحان؟ قالت: أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود خيل لها أجنحة فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه [٢].

١٧. لا يضربها ولا يعنفها

ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده. ولا امرأة. ولا خادما. إلا أن يجاهد في سبيل الله. وما نيل منه شيء قط. فينتقم من صاحبه. إلا أن ينتهك شيء من محارم الله. فينتقم لله عز وجل [٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحة كتاب فضائل الصحابة برقم: ٢٤٤٠

(٢) رواه ابو داود في سننه كتاب الادب باب في اللعب بالبنات برقم ٤٢٨٤ وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم في صحيحة كتاب الفضائل برقم ٢٣٢٨



١٨. يواسيها ويمسح دموعها

كانت صفيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، وكان ذلك يومها، فأبطأت في المسير، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي، وتقول حملتني على بعير بطيء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح بيديه عينيها ويسكتها [١].

١٩. يصطحبها في السفر

تقول عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه، فأيتهن يخرج سهمها خرج بها النبي صلى الله عليه وسلم، فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما أنزل الحجاب [٢].

٢٠. يراعيها أثناء الحيض

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباشر نساءه فوق الإزار، وهن حيض [٣].

---

(١) رواه النسائي في سننه الكبرى كتاب عشرة النساء باب كم تهجر برقم ٩١٦٢

(٢) رواه البخاري في صحيحة كتاب الجهاد والسير باب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه برقم٢٨٧٩

(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب الحيض برقم ٢٩٤



٢١. يسابقها ويلعب معها

تقول عائشة رضي الله عنها: أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، وهي جارية [قالت: لم أحمل اللحم، ولم أبدن]، فقال لأصحابه: تقدموا، [فتقدموا]، ثم قال: تعالي أسابقك، فسابقته، فسبقته على رجلي، فلما كان بعد، خرجت معه في سفر، فقال لأصحابه: تقدموا، ثم قال: تعالي أسابقك، ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم، [وبدنت]، فقلت: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟ فقال: لتفعلن، فسابقته، فسبقني، فجعل يضحك، قال: هذه بتلك السبقة [١].

٢٢. يشاركها الفرحة والسعادة

تخبرنا بذلك عائشة رضي الله عنها بقولها: والله! لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي. والحبشة يلعبون بحرابهم. في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه، لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، حريصة على اللهو [٢].

٢٣. يختار لها أحب الأسماء

---

(١) اخرجه الحميدي في مسندة وابو داود والنسائي والطبراني وابن ماجة مختصرا وسنده صحيح كما قال العراقي في تخريج الاحياء انظر آداب الزفاف للألباني برقم٢٠٤

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب صلاة العيدين برقم٨٩٢



أن عائشة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله كل نسائك لها كنية غيري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتني بابنك عبد الله يعني ابن الزبير أنت أم عبد الله قال فكان يقال لها أم عبد الله حتى ماتت ولم تلد قط [1].

٢٤. يشيع السعادة في بيته

عن عائشة رضى الله عنها قالت: زارتنا سودة يوماً فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينها، إحدى رجليه في حجري، والأخرى في حجرها، فعملت لها خزيرة فقلت لها: كلي فأبت فقلت لتأكلن أو لألطخن وجهك فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فطليت بها وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه لها وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت وجهي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم أيضا فمر عمر فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيدخل فقال لهما قوما فاغسلا وجوهكما قالت عائشة فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه [2].

---

(١) رواه احمد في مسنده برقم ٢٥٢٢٢وصححة الألباني في صحيحة برقم١٣٢

(٢) انظر السلسلة الصحيحة الالباني برقم ٣١٣١



٢٥. يحب ويحترم أهلها

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: (عائشة). قلت: من الرجال؟ قال: (أبوها). قلت: ثم من؟ قال: (عمر). فعد رجالا، فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم [١]

من خلال التأمل في المواقف السابقة وغيرها كثير من تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع أهله، نتذكر توجيهه الكريم، عندما قال: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) [٢]، فهي إثبات واضح لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من تعامل منقطع النظير مع أزواجه، وكيف لا يكون ذلك وهو من زكاه ربه تبارك وتعالى بأخلاقه العظيمة فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤]

وهو الذي أرسله ربه رحمة للعالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فكيف لا يكون رحمة لمن يعاشرهم ويخالطهم، ويأنس بهم، صلوات ربي وسلامه عليه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحة كتاب المغازي باب غزوة ذات السلاسل برقم ٤٣٥٨

(٢) رواة الترمذي في سننه وقال هذا حديث حسن غريب صحيح كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم برقم ٣٨٩٥ وصححه الالباني





رابعاً: عند حدوث المشكلات أو الخلافات الزوجية

كان عليه الصلاة والسلام يتبع أساليب تربوية في غاية الحكمة، تجمع بين تصحيح الخطأ والتوجيه التربوي الحكيم، ومن ذلك الأساليب التالية:

١) الابتسامة:

عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل على يوما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أين كنت منذ اليوم؟ قال: يا حميراء كنت عند أم سلمة رضي الله عنها فقلت: ما تشبع من أم سلمة؟ قالت: فتبسم ثم قلت: يا رسول الله ألا تخبرني عنك لو إنك نزلت بعدوتين إحداهما لم ترع والأخرى قد رعيت أيهما كنت ترعى ؟ قال: التي لم ترع قلت: فأنا لست كأحد من نسائك كل امرأة من نسائك كانت عند رجل غيرك قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] وفى رواية البخاري عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ قُلْت يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْت وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ قَالَ فِي الَّذِي لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا يعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا [٢].

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ٥٥/٨

(٢) البخاري حديث رقم ٤٦٨٦



٢) أسلوب التغاضي:

فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يرى أن كثيراً من الخلافات الزوجية لا تحل بأسلوب الخصومة ولا ينفع معها الجدل فكان يتبع أسلوب التغاضي لحل بعض الخلافات الزوجية، ومن ذلك الموقف التالي:

عَنْ أَنَس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تِسْعُ نِسْوَةٍ فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ لَا يَنْتَهِي إِلَى الْمَرْأَةِ الْأُولَى إِلَّا فِي تِسْعٍ فَكُنَّ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَأْتِيهَا فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَجَاءَتْ زَيْنَبُ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ هَذِهِ زَيْنَبُ فَكَفَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ فَتَقَاوَلَتَا حَتَّى استبتا وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى ذَلِكَ فَسَمِعَ أَصْوَاتَهُمَا فَقَالَ اخْرُجْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الصَّلَاةِ وأحث فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ عَائِشَةُ الْآنَ يَقْضِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم صَلَاتَهُ فَيَجِيءُ أَبُو بَكْرٍ فَيَفْعَلُ بِي وَيَفْعَلُ فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم صَلَاتَهُ أَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهَا قَوْلًا شَدِيدًا وَقَالَ أَتَصْنَعِينَ هَذَا [1]

يظهر من هذا الموقف، أن استخدام أسلوب التغاضي، وغض الطرف في بعض الخلافات التي تعتبر من طبيعة البشر والتي لا تحتاج إلى نقاش، من الأساليب الفعالة في إطفاء المشاكل وإخمادها من أن تزداد وتشتعل، فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة لم يباشر معالجة الموقف في قمة ثورته بل تغاضى عنه وانصرف إلى الصلاة .

(١) صحيح مسلم حديث رقم ٢٦٥٦



٣) أسلوب الحوار والإقناع:

وقد لجأ المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى الحوار الهادف والإقناع لحث الزوجة على العدول عن خطأ وقعت فيه أو تغيير فكرة مسبقة حملتها وهى غير صحيحة ، ومن ذلك الموقف التالي : فعن عائشة رضى الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا قَالَتْ فَغِرْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ فَقُلْتُ وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُك قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَالَ نَعَم قُلْتُ وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ [١]

ومن أساليبه في الإقناع والحوار لتغيير فكرة مسبقة حملتها زوجته عنه ما حدثت به صفية أم المؤمنين رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبغض الناس إليّ، قتل زوجي وأبي وقومي، فمازال يعتذر إليّ ويقول يا صفية إن أباكِ ألّب علي العرب وفعل وفعل، حتى ذهب ذلك من نفسي [٢]

فبهذا الأسلوب استطاع المصطفى صلى الله عله وسلم أن ينقل أم المؤمنين صفية من الكفر إلى الإيمان وأصبح صلوات الله وسلامه عليه من أحب الناس إليها بعد أن كان من أبغض الناس إليها، ولجأ إلى أسلوب الحوار مع زوجته ليبين لها السبب الدافع لقتله قومها وأبيها وزوجها.

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم ٥٠٣٥

(٢) الألباني، السلسلة الصحيحة حديث رقم ٢٧٩٣



٤) أسلوب العظة والتذكير:

ويستخدم هذا الأسلوب في حال الوقوع في الخطأ والمخالفة الشرعية، ومن ذلك موقف عائشة رضي الله عنها عندما قالت: قلت للنبي صلى الله عليه، وسلم حسبك من صفية كذا وكذا (تعنى قصيرة)، فقال: لقد قلتِ كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته [(١)].

فقد أخطأت رضي الله عنها، فوقعت في غيبة أختها صفية، فوعظها النبي صلى الله عليه وسلم وذكرها وخوفها من عواقب هذه الكلمة التي تكلمت بها.

٥) أسلوب التروي والتثبت والتحقيق قبل إصدار الحكم:

فمن الأساليب التي استعملها رسول الله، في حل المشاكل الزوجية، أسلوب التروي والتثبت، والتأني قبل إصدار الأحكام، وأبرز مثال على ذلك، ما ورد في حادثة الإفك. فلم يجرح مشاعر زوجته بإصدار حكم، عليه مع صعوبة وشدة الموقف، وإنما تروى في ذلك، وصبر، حتى أنزل الله في بيان ذلك قرآناً يتلى إلى يوم الدين [(٢)].

---

(١) صحيح الترمذي، برقم ٢٦٣٢

(٢) قصة الإفك، ثابتة في كتب السنة مثل البخاري ومسلم والسنن والمعاجم والسير وغيرها.



٦) التأديب بالدفع

من الأساليب التي استعملها رسول الله في التعامل مع الخلافات الزوجية أسلوب التأديب بالدفع، ومن ذلك الموقف التالي:

تحدث عائشة رضي الله عنها ،فتقول : ألا أحدثكم عن رسول الله وعني: لما كانت ليلتي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم فيها عندي، انقلب فوضع نعليه عن رجليه وضع رداءه وبسط طرف إزاره، على فراشه، فلم يلبث إلا ريثما أني قد رقدت، ثم انتقل رويداً وأخذ رداءه، ثم فتح الباب رويداً، وخرج فأجافه رويداً. قالت وجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري، وانطلقت في التالي: أثره، فجاء صلى الله عليه وسلم البقيع، فرفع يديه ثلاث مرات وأطال القيام ثم انحرف، فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت، وسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت فدخل، فقال مالك يا عائشة، حشياً رابية؟ قلت لا شيء يا رسول الله، قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته الخبر، قال: فأنت السواد التي رأيت أمامي، قلت نعم؟ قالت: فلهدني لهدة في صدري أوجعتني ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله، قالت مهما يكتم الناس فقد علمه الله، قال: نعم، فإن جبريل أتاني حين رأيت لم يكن يدخل عليك، وقد وضعت ثيابك فناداني، فأخفى منك فأجبته، فأخفيت منك وظننت أن رقدت، فكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم [١]

---

(١) رواه مسلم برقم: ٩٧٤



وشاهد هذا الموقف هو قولها: فلهدني لهدة أوجعتني، بمعنى أنه أدبها، على تصرفها غير المعتاد معه، صلى الله عليه وسلم.

وهناك أساليب أخرى أذكرها إجمالاً بدون تفصيل وهي أسلوب الهجر وقد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حادثة التحريم، وأسلوب التشاور والتخيير في حادثة طلب النفقة، وأسلوب الطلاق وقد استعمله مع حفصة بنت عمر، ثم راجعها، واستعمله مع أميمة بنت النعمان عندما استعاذت بالله فأعاذها[١].

---

(١) ينظر في تلك الأساليب، كتاب د. عبد السميع الأنيس، الأساليب النبوية في معالجة المشاكل الزوجية، الطبعة الأولى وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية بقطر ص٣٢٠



الفصل الثاني:

تعامل النبي ﷺ مع خدمه وجيرانه وأرحامه وأصهاره

المبحث الأول: تعامله مع خدمه.

المبحث الثاني: تعامله مع أرحامه.

المبحث الثالث: تعامله مع أصهاره.

المبحث الرابع: تعامله مع جيرانه.





المبحث الأول: تعامله مع الخدم

يجيب هذا المبحث عن التساؤلات التالية:

من هم خدم رسول الله؟

وكيف كان يعاملهم؟

ما المواقف التعاملية التي كانت بينه وبين خدمه صلى الله عليه وسلم؟

وما أثر ذلك عليهم؟



كان من عادة العرب اتخاذ الخدم لمساعدتهم والقيام بشؤونهم الخاصة والعامة، وقد كان الخدم من الرقيق والموالي الذين يتم شراؤهم وبيعهم، ولهم أحوال وأحكام خاصة ليس هذا المجال مجال ذكرها. وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد اتخذ خدماً من الرجال ومن النساء الأحرار والعبيد، بعضهم كان عنده من قبل مبعثه، مثل أم أيمن رضي الله عنها والتي كانت خادمة عند أمه آمنة بنت وهب واستمرت في خدمته إلى وفاته، وبعضهم قد التحق بخدمة النبي صلى الله عليه وسلم لا حقاً، بعد مبعثه وبعضهم بعد الهجرة ، أمضى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حياته بشرا كسائر البشر ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [الكهف: ١١٠] كان صلى الله عليه وسلم، يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، ويضرب في الأرض، ويصيبه المرض، ويمسه الجوع، وكان صلى الله عليه وسلم يباشر بنفسه ابتداء خدمة نفسه وخدمة أهله، لا يستنكف عن ذلك ولا يتكبر، بل كانت هناك بعض الشؤون في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل صلى الله عليه وسلم من أحد أن يخدمه فيها أو يقوم بها نيابة عنه فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يكل طهوره إلى أحد ولا صدقته التي يتصدق بها يكون هو الذي يتولاها بنفسه»[١] هكذا كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يعتمد على نفسه في أموره الخاصة غير متكل على غيره، ولا متواكل أو متكاسل في حياته، ولكنه مع ذلك كان له خدم عاشوا

(١) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب تغطية الإناء برقم ٣٥٦ وضعفه الألباني.



معه وخدموه، ونُقلت لنا أخبارهم في خدمته، كما نقل لنا حاله عليه الصلاة والسلام معهم، وفيما يلي ذكر إجمالي لأشهر من خدم النبي عليه الصلاة والسلام:

أولاً: ممن خدم النبي عليه الصلاة والسلام من الرجال عدد كبير منهم:

١- أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي، وهو أشهرهم فقد خدمه ولازمه عشر سنوات.

٢- عبد الله بن مسعود.

٣- أسلع بن شريك.

٤- سعد مولى أبي بكر الصديق.

٥- أبو الحمراء هلال بن الحارث.

٦- زيد بن حارثة.

٧- أبو رافع واسمه أسلم.

٨- عقبة بن عامر الجهني.

٩- قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي.

١٠- سابق.

١١- واثلة بن الأسقع.

١٢- بلال بن رباح.

١٣- ربيعة بن كعب الأسلمي.

١٤- ذو مخمر ابن أخي النجاشي.

١٥- بكير بن شداخ الليثي.

١٦- أبو ذر الغفاري.

١٧- خليفة بن خياط.



١٨- أربد بن حمير.

١٩- الأسود بن مالك اليماني.

٢٠- الحدرجان بن مالك اليماني.

٢١- ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري.

٢٢- سالم مولى النبي صلى الله عليه وسلم.

٢٣- أبو سلام.

٢٤- مهاجر مولى أم سلمة رضي الله عنها.

٢٥- نعيم بن ربيعة بن كعب.

رضوان الله عليهم أجمعين [١]

ثانياً: وممن خدمه من النساء:

١- مارية جدة المثنى بن صالح أم الرباب.

٢- سلمى جدة أبي رافع.

٣- رزينة.

٤- صفية.

٥- خولة جدة حفص بن سعيد.

٦- هند بنت حارثة الاسلمي.

٧- أسماء بنت حارثة الاسلمي.

رضوان الله عليهن أجمعين.

---

(١) ابن سيد الناس، عيون الأثر ص٣٩١ دار الأوقاف الجديدة، الطبعة الأولى ١٩٧٧



وأما الجانب التعاملي من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء الخدم، فتخبرنا مصادر السيرة أنه لم يكن يتعامل معهم كما كان الناس يتعاملون مع خدمهم أبداً وإنما كان تعامله معهم يجسد معاني الإنسانية في أبهى صورها، فقد كان يتعامل مع كل واحد منهم كإنسان، بكامل احتياجاته الإنسانية فقد كان يلطف بهم ويرفق بهم، يعلم جاهلهم، يساعد محتاجهم، يواسيهم، يرشدهم، وفيما يلي، بعض المواقف التعاملية من سيرته صلى الله عليه وسلم معهم رضي الله عنهم أجمعين:

١- أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من كان عبدًا من خدمه فقد أعتق زيد بن حارثة، وأعتق أم أيمن (بركة الحبشية)، وأعتق بريرة، وأبا رافع وزوجته سلمى، وأعتق مارية، وأعتق خضرة، ورضوى، ويسار، وهؤلاء كانوا من خدمه، صلى الله عليه وسلم.. حتى لم يبق في ملك رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عبد أبدًا [١].

٢- زوج النبي صلى الله عليه وسلم خدمه الذين لم يكونوا متزوجين، فزوج أم أيمن من زيد بن حارثة، وزوج أبا رافع من سلمى أم رافع، وزوج خدمه الأحرار مثل ربيعة بن كعب الأسلمي وبلال بن رباح [٢].

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم ١/ ١٥٣

(٢) المصدر السابق، ١/١١٠



٣- علّم النبي صلى الله عليه وسلم، خدمه ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم، فعلم أنساً رضي الله عنه مثلاً: الوضوء والصلاة، وعلمه الاستئذان وكتمان السر وإفشاء السلام ونحو ذلك، وعلّم عقبة بن عامر المعوذتين وكان خادمه في راحلته، وعلّم بلالا مواقيت الأذان وآدابه (١)

٤- لم يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، خادما أبدا بل كان ينهى أصحابه عن ضرب الخدم رغم إساءاتهم غير المقصودة عن أنس قال: «خدمت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عشر سنين فما قال لي افٍ ولا لم صنعت ولا ألا صنعت» (٢)

٥- كان النبي صلى الله عليه وسلم يخدم خدمه أحيانا براً بهم وإعانة لهم وحفظا لحقهم روي عن الواقدي انه قال: نظرت أم أيمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشرب فقالت له: اسقني؟ فقالت عائشة: أتقولين هذا لرسول الله؟ فقالت: ما خدمته أطول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، صدقت. فجاء بالماء فسقاها (٣)

---

(١) تعليم أنس السلام رواه البيهقي ٨٧٦١ كتاب الصلاة رواه مسلم برقم ٦٨٥، تعليم بلال الأذان رواه الإمام احمد برقم ١٦٥٢٥، تعليم عقبة المعوذتين مسلم كتاب صلاة المسافرين برقم ١٣٤٩

(٢) البخاري كتاب الأدب، باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً برقم ٦٠٣٨

(٣) السيرة الحلبية ص٨٥



٦- كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع معنويات الخدم ويجبر خاطرهم ويبش في وجوههم ويبتسم بل كان يسمي الخادم سيداً. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيد القوم خادمهم) [١] كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعود من مرض من خدمه، ويتفقد أحواله ويسأل عنه فقد عاد بلالاً ذات مرة عندما مرض.

٧- أعطى النبي صلى الله عليه وسلم بعض خدمه عطايا مالية، وعرض على بعضهم منافع عديدة جراء خدمتهم له، فقد وهب أرضاً لزيد بن حارثة، ووهب ثمر نخل لأم أيمن، ووهب غلاماً لأبي رافع، ووهب أرضاً لربيعة بن كعب، وأعطاه غنماً كذلك [٢]

٨- إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم خادمه وقد تعب كان يريحه ويعطيه حقه في ذلك بل يتبادل الأدوار معه. عن عقبة بن عامر وكان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم «الشهباء» الذي يقودها في الأسفار قال: «قدت برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو على راحلته رَتْوة من الليل ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: انخ فأنخت فنزل عن راحلته ثم قال: اركب يا عقبة فقلت: سبحان الله على راحلتك؟ فأمرني فقال: اركب فقلت: مثل ذلك ورددت ذلك مراراً حتى

(١) أخرجه السيوطي، في الجامع الصغير برقم ١٣٢٦٠ وضعفه الألباني
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ٤/ ٦٤٣



خفت أن أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فركبت راحلته ثم زجر ناقته فقامت...» الخ [1]

٩- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بالخير لخدمه فقد دعا لأنس بن مالك بطول العمر وكثرة المال والأولاد ودخول الجنة ودعا لثوبان بطول العمر [2] ودعا لأم أيمن بالشفاء من آلام البطن [3] وغير ذلك كثير.

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير برقم ٩٢٨

(٢) رواه البخاري كتاب الدعوات، باب الدعاء بكثرة المال برقم ٦٣٨٠

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، برقم ٦٩١٢



المبحث الثاني: تعامله مع أرحامه

يجيب هذا المبحث عن التساؤلات التالية:

من هم الأرحام؟

ومن هم أرحام رسول الله وأقاربه؟

وكيف كان موقفه من الرحم؟

وما أعظم ما كان يقدمه رسول الله لرحمه وأقاربه؟ وكيف كان ذلك؟

وما المواقف التعاملية منه عليه الصلاة والسلام مع رحمه وأقاربه؟

وكيف كان تأثير تلك التعاملات على سعادة الأسرة؟



الأرحام هم الأقارب من النسب من جهة الأم والأب وهم المعنيون بقول الله سبحانه وتعالى في سورة الأنفال والأحزاب: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب:٦]، [الأنفال:٧٥].

وأقربهم: الآباء والأمهات والأجداد والأولاد وأولادهم ما تناسلوا، ثم الأقرب فالأقرب من الإخوة وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما سأله سائل قائلاً: من أبر يا رسول الله؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أمك) قال: ثم من؟ قال: (أباك، ثم الأقرب فالأقرب) (١).

والواجب في التعامل مع الرحم هو (الصلة) التي أمر الله تبارك وتعالى بها في آيات كثيرة من كتابه الكريم، والتي أمر بها النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وبين فضائلها وآثار بركتها كما بين عواقبها وخطورة من قطعها، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة يرجع إليه في مظانها، والذي يعنينا في بحثنا هنا هو كيف كان تعامل النبي عليه الصلاة والسلام مع رحمه وما هي المواقف التي بينتها لنا كتب السيرة في حياته الأسرية في تعامله مع رحمه.

لا شك أن النبي – صلى الله عليه وسلم- أقدر الناس على القيام بواجب صلة الرحم، فقد أدى – صلى الله عليه وسلم- جميع الحقوق التي كانت لأقربائه وزيادة وهذا من سماحته وحبه لهم فقد كان خير الناس لأقربائه وأهل بيته فهو أوصل الناس لرحمه، وأرفق الناس بهم، وأرحم الناس عليهم، فقد أعطاهم كل ما هو لهم وزيادة، ولا

(١) الإمام احمد في مسنده برقم ٢٠٠٤٠، وقال شعيب الارناؤوط صحيح لغيره تعليق، وهذا إسناد حسن.



يعرف أن أحداً عامل أقاربه وأهل بيته مثل معاملة الرسول – صلى الله عليه وسلم- . لأقاربه، وقد وجه ربه تبارك وتعالى في بداية دعوته بالإنذار للأقربين وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء:٢١٤]

وهذه بعض المواقف من سيرته تبين ذلك وتوضحه:

١- لعل أعظم ما يقدم للرحم والأقربين هو دعوتهم إلى الله تعالى وإخراجهم من الظلمات النور والسعي في هدايتهم ما استطاع الداعي إلى ذلك سبيلا، فإن هذا الأمر من الصلة يأتي في مقدمة أعمال البر التي توصل بها الرحم، وهو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، مع أرحامه وأقاربه، وما موقف دعوته لعمه أبي طالب وحرصه على هدايته عنا ببعيد، وتذكر لنا كتب السيرة من تلك المواقف التي يظهر فيها حرصه أول الأمر على دعوة أقاربه، الموقف التالي:

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته بني هاشم بعد نزول قوله تبارك وتعالى ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء:٢١٤]، فجاءوا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف، فكانوا نحو خمسة وأربعين رجلًا. فلما أراد أن يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بادره أبو لهب وقال: هؤلاء عمومتك وبنو عمك فتكلم، ودع الصباة، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنا أحق من أخذك، فحسبك بنو أبيك، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش، وتمدهم العرب، فما رأيت أحدًا جاء على بني أبيه بشر مما جئت به، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتكلم في ذلك المجلس. ثم دعاهم ثانية وقال: (الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك



له). ثم قال: (إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبدًا أو النار أبدًا). فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقًا لحديثك. وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به. فوالله ، لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسى لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب.

فقال أبو لهب: هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب: والله لنمنعه ما بقينا (١)

٢- تذكره الرحم حتى ممن كان مشركاً، قال – صلى الله عليه وسلم- في أبي العاص بن أمية، وكان مشركاً في أول أمره ثم أسلم وحسن إسلامه، قال فيه وهو مشرك: "إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي، إنما وليي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها" (٢).

٣- وفاءه لمن قدمت له معروفاً بإرضاعه فقد حدث أبو الطفيل رضي الله عنه قال: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم- وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ قالوا: أمه التي أرضعته (٣).

---

(١) المباركفوري الرحيق المختوم ص٥٩

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الادب باب بالوالدين ٥٩٩٠

(٣) رواه أبو داود في سننه كتاب الادب باب في بر الوالدين ٤٤٧٨، وقال الألباني: ضعيف الاسناد.



٤- كان يكرم عمه العباس رضي الله عنه ويجله إجلالاً منقطع النظير ويقول: "إن عم الرجل صنو أبيه"[١] وكان إذا رأى العباس أوسع له وقال: هذا عمي وبقية آبائي.

٥- كان – صلى الله عليه وسلم- يرفق ببناته ويعطف عليهن، ولما مرض جاءت إليه فاطمة فلما رآها هش للقائها قائلاً: "مرحباً بابنتي!" ثم أجلسها على يمينه أو عن شماله[٢] وكان يأتي إلى بيتها لزيارتها، وكانت فاطمة رضي الله عنها أحب بناته إليه، وهي البضعة النبوية، تشبه خلقه وخلقه، وأبناءها الحسن والحسين لهما المنزلة العلية عنده، وقد كان يلاطفهما، ويقبلهما، ويقربهما منه صلوات الله وسلامه عليه.

٦- تقديمه – صلى الله عليه وسلم- الأقربين في المخاوف والمغارم وتأخيرهم في الرخاء والمغانم فقد كان شعاره الدائم في أهل بيته وعياله، وأقرب الناس إليه تقديمهم في المخاوف والمغارم، وتأخيرهم في الرخاء والمغانم، ففي أحداث غزوة بدر عندما طلب عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة- وهم كانوا من أبطال العرب المرموقين — من يبارزهم من قريش، وممن فارق دينهم من أهل مكة، وهاجر منها، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- من أعرف الناس بمكانتهم وقوتهم في الحرب، وكان في قريش من ينهض لذلك من الأبطال والفرسان، فلم يزد أن قال: "قم يا حمزة! قم يا علي! قم يا عبيدة!" وهم أقرب الناس إليه رحماً ودماً، وأحبهم إليه

---

(١) رواه مسلم كتاب الزكاة ب برقم ٢٣٢٤

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب قول الرجل مرحباً برقم ٥٨١٢.



ولم يؤثر أحداً عليهم، ضناً بحياتهم وإبقاء عليهم، وكان من صنع الله – تعالى- أن كتب لهم الغلبة والانتصار على منافسيهم، ورجع حمزة وعلي سالمين مظفرين، وحمل عبيدة جريحاً [1].

٧- البدء بالأرحام عند تطبيق الأوامر الشرعية: فلما أراد أن يحرم الربا، ويهدر دم الجاهلية القديمة بدأ بعمه العباس بن عبد المطلب، وابن أخ له من بني هاشم، ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. فقال في خطبته في حجة الوداع: "وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا: ربا عباس بن عبد المطلب، ودماء الجاهلية موضوعة وأول دم أضع من دمائنا دم ربيعة بن الحارث" [2].

تربيتهم وتدريبهم على ما هو خير لهم من زخرف الحياة الدنيا : يقول علي بن أبي طالب – رضي الله عنه-: إن فاطمة عليها السلام اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن، فبلغها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أُتي بسبي، فأتته تسأله خادماً، فلم توافقه، فذكرت لعائشة فجاء النبي – صلى الله عليه وسلم- فذكرت عائشة له، فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا، فذهبنا لنقوم، فقال: "على مكانكما"، حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: "ألا أدلكما على خير مما سألتماني، إذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله أربعاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وسبحا ثلاثاً

(١) رواه ابو داود في سننه كتاب الجهاد باب في المبارزة برقم ٢٢٩١

(٢) رواه الإمام احمد في مسنده برقم ٢٠٧١٤، تعليق الأرناؤوط: صحيح لغيره.



وثلاثين، فإن ذلك خير لكما مما سألتماني" [١]، وفي رواية في هذه القصة أنه – صلى الله عليه وسلم– قال: "والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم [٢] .

٨- الدعاء لهم:

كما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فقام يغتسل، فأخذ العباس كساء فستره به، قال: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم رافعا رأسه من جانب الكساء وهو يقول: "اللهم استر العباس من النار"، أو قال: "العباس وولده من النار".

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على العباس وبنيه فقال: تقاربوا، فزحف بعضهم إلى بعض ثم اشتمل عليهم بملاءته وقال: يا رب هذا عمي وصنو أبي، هؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي، فأمنت أسكفة البيت وحوائط البيت [٣].

حرصه على مصاحبة أبناء عمه لتعليمهم وتدريبهم كما حدث مع ابن عباس رضي الله عنهما في الحديث المشهور: ((احفظ الله يحفظك)) [٤]، وكما كان في الحج

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب النفقات باب عمل المرأة في بيت زوجها برقم المرأة ٥٣٦١

(٢) رواه أصبهاني في الحلية (٢/ ٤١)

(٣) رواه الطبراني في معجمه الكبير المعجم برقم ٥٨٤

(٤) رواه الترمذي في سننه وقال هذا حديث حسنن صحيح برقم ٢٥١٦



يردف خلفه الفضل بن العباس، وكما مر النبي صلى الله عليه وسلم على دابة ورأى ابن عمه قثم بن العباس فحمله وأردفه خلفه [١].

٩- مع أخواله:

أخوال النبي عليه الصلاة والسلام الأقربون مباشرة هم بنو زهرة، التي منهم أمه آمنة بنت وهب، الزهرية، ومن أخواله بنو النجار والتي منهم أم أبيه عبد الله بن عبد المطلب، وأيضاً بنو سليم، إذ إن ثلاثاً من أمهاته (جداته) من بني سليم، وهن العواتك، كما قال عليه الصلاة والسلام في يوم حنين (أنا ابن العواتك من سليم) [٢]، وممن ورد ذكرهم في سيرته عليه الصلاة والسلام من أخواله، عمير بن وهب والأسود بن وهب وقد كان عليه الصلاة والسلام يجل أخواله ويبجلهم، فعندما قدم عليه خاله عمير بن وهب رضي الله عنه، فرش له رداءه وقال له أجلس، قال أجلس وأنت رسول الله، فقال عليه الصلاة والسلام: الخال والد [٣].

وكذلك تقديره وتبجيله لخاله سعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنه عندما قدم سعد والنبي عليه الصلاة والسلام جالس بين أصحابه فقال النبي عليه الصلاة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس باب حمل صاحب الدابة غيره بين يديه برقم ٥٥٠٩

(٢) رواه الطبراني في معجمه الكبير برقم ٦٧٢٤

(٣) أورده السيوطي في الزوائد على الجامع الصغير، وفي الجامع الكبير الخرائطي في المكارم من حديث سعيد بن سلام العطار حدثنا هشام بن الغاز عن محمد بن عمير بن وهب خال النبي صلى الله عليه وسلم قال جاء يعني عمير والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد فبسط له رداءه فقال أجلس على ردائك يا رسول الله قال (نعم فإنما الخال والد) وسعيد كذبه أحمد.



والسلام للصحابة ((هذا خالي فليريني امرؤٌ منكم خاله)) (١). وكان سعد بن أبي وقاص الزهري يعتز بهذه الخؤولة ويفاخر بها. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أهل المشورة في عصر الخلافة.

ومن خالاته أم سليم وهي سهلة، أو رميلة أو مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية - رضي الله عنها -، وهي أم أنس بن مالك -رضي الله عنه-، مشهورة بكنيتها، واختلف في اسمها (٢). وأم حرام: هي بنت ملحان -رضي الله عنها-، وهي أخت أم سليم. وقد كان لهما مواقف مع رسول الله تعتبر من أعمال الصلة التي كان يخصهن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ما يلي:

يقول أنس رضي الله عنه :كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ) قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهِمْ فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: (نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ) كَمَا قَالَ فِي الأَوَّلِ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ:

---

(١) رواه الترمذي في سننه وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مجالد، كتاب المناقب برقم ٣٧٥٢.

(٢) الإصابة (٨/٢٢٧)



(أَنْتِ مِنْ الأَوَّلِينَ) فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنْ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ [1].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى فِرَاشِهَا فَأُتِيَتْ فَقِيلَ لَهَا هَذَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَامَ فِي بَيْتِكِ عَلَى فِرَاشِكِ، قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَى قِطْعَةِ أَدِيمٍ عَلَى الْفِرَاشِ، فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا، فَفَزِعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: (مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟)، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا، قَالَ: (أَصَبْتِ). رواه مسلم [2]، قال النووي رحمه الله: (اتفق العلماء على أن أم حرام كانت محرما له -صلى الله عليه وسلم- واختلفوا في كيفية ذلك، فقال: ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه أو لجده لأن عبد المطلب كانت أمه من بني النجار) اهـ. وقال أيضاً: (أُمّ حَرَام أُخْت أُمّ سُلَيْمٍ، وقد كَانَتَا خَالَتَيْنِ لِرَسُولِ اللَّه -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَحْرَمَيْنِ إِمَّا مِنْ الرَّضَاع، وَإِمَّا مِنْ النَّسَب، فَتَحِلُّ لَهُ الْخَلْوَة بِهِمَا، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمَا خَاصَّةً، لا يَدْخُلُ عَلَى غَيْرِهِمَا مِنْ النِّسَاء إِلا أَزْوَاجه) اهـ [3].

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٧٨٩) كذلك رواه ومسلم برقم (١٩١٢)

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٣٣١)

(٣) مسلم بشرح النووي.



المبحث الثالث: تعامله مع أصهاره

يناقش هذا المبحث ما يلي:

ما مفهوم الأصهار؟

ومن هم أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

وكيف كان تعامله معهم؟

وما المواقف العملية لذلك التعامل؟



تطلق كلمة الأصهار ويراد بها أقارب الزوج وأقارب الزوجة إجمالاً، والأختان ويراد بهم أزواج البنات أو أزواج الأخوات، ولنبدأ بأختان النبي عليه الصلاة والسلام والذين هم أزواج بناته وكيف كان تعامله معهم:

١ـ أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه زوج زينب رضي الله عنها، وهي أكبر بناته صلى الله عليه وسلم، وقد تزوجت منه، وولدت له عليًا وأمامة، وتوفيت سنة ثمان من الهجرة وقد كان له مواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحدها عندما كان أسيراً بعد غزوة بدر، فعفا عنه رسول الله، على أن يخلي سبيل ابنته، زينب ففعل.

والموقف الثاني عندما أُسر في قافلة تجارية بأموال قريش، عائدة من الشام، قالت عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص وقال لهم: "إن هذا الرجل منّا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالاً فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له، فإنّا نحب ذلك، وإن أبيتم ذلك فهو فيء الله الذي أفاءه عليكم فأنتم أحق به " قالوا: يا رسول الله بل نرده عليه، قال: فردوا عليه ماله حتى أن الرجل ليأتي بالحبل، ويأتي الرجل بالشّنة، والإداوة، حتى أن أحدهم ليأتي بالشطاط، حتى ردوا عليه ماله بأَسره لا يفقد منه شيئا، ثم احتُمل إلى مكة فأدَّى إلى كل ذي مال من قريش ماله ممن كان ابضع منه، ثم قال: يا معشر قريش هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وفيا كريما قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفا أن تظنوا أني إنما أردت أخذ أموالكم، فلما أداها الله



عز وجل إليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

٢. عثمان بن عفان رضي الله عنه ذو النورين، الذي حباه الله بأن تزوج بنتيّ رسول الله الواحدة تلو الأخرى، فتزوج رقية رضي الله عنها، فلما ماتت، زوجه رسول الله أختها أمَّ كلثوم رضي الله عنها، وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان ثناءً عظيماً، عندما قال: (ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم) [2] وذلك بعد تجهيزه رضي الله عنه جيش العسرة، عندما أوقف قوافل كانت ذاهبة في تجارة له، وعاد منها بتسعمائة وخمسين ناقة، ولم يكتف بذلك بل؛ وذهب مرة أخرى وأتي بخمسين فرسًا، ثم ذهب وأتى بألف دينار ونثرها بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول ينظر في هذا ويقول " ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم ، ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم."

وقد بشره عليه الصلاة والسلام بالجنة، على بلوى تصبه فقال الله المستعان، فعن سعيد بن المسيب، أخبرني أبو موسى الأشعري، أنه توضأ في بيته ثم خرج، فقال: لألزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد، فسأل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: خرج، وجه هاهنا، قال فخرجت على أثره أسأل عنه، حتى دخل بئر أريس، قال: فجلست عند الباب، وبابها من جريد، حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ، فقمت إليه، فإذا هو قد

(١) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٥٠٣٨

(٢) رواه الترمذي رواه الحاكم في سننه برقم ٣٧٠١ وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، كتاب النفقات. باب مناقب عثمان بن عفان. وحسنه الالباني



جلس على بئر أريس وتوسط قفها، وكشف عن ساقيه، ودلاهما في البئر، قال: فسلمت عليه، ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال أبو بكر: فقلت: على رسلك، قال: ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: «ائذن له، وبشره بالجنة» قال فأقبلت حتى قلت: لأبي بكر ادخل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة، قال: فدخل أبو بكر، فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم، معه في القف، ودلى رجليه في البئر، كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم، وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يرد الله بفلان - يريد أخاه - خيرا يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وقلت: هذا عمر يستأذن، فقال: «ائذن له وبشره بالجنة» فجئت عمر فقلت: أذن ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالجنة، قال فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف، عن يساره، ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا - يعني أخاه - يأت به، فجاء إنسان فحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان فقلت: على رسلك، قال وجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال: «ائذن له وبشره بالجنة، مع بلوى تصيبه» قال فجئت فقلت: ادخل، ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة مع بلوى تصيبك، قال فدخل فوجد القف قد ملئ،



فجلس وجاههم من الشق الآخر. قال شريك: فقال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم. رواه مسلم (1).

٣. علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان زواجه من فاطمة الزهراء رضي الله عنها في صفر سنة اثنتين من الهجرة، وولدت له الحسن والحسين، وأمّ كلثوم وزينب رضي الله عنهم أجمعين، ومواقف النبي صلى الله عليه وسلم معه كثيرة متعددة لعل من أبرزها وصيته وفاطمة رضي الله عنها أن يصليا في الليل كما جاء في الحديث عن علي رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت النبي عليه السلام ليلة، فقال: «ألا تصليان؟» فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه، وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤] رواه البخاري (2).

(١) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة –باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه (٤/ ١٨٦٨) برقم (٢٤٠٣).

(٢)رواه البخاري كتاب التهجد– باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب (٢/ ٥٠) برقم (١١٢٧).



وأما أصهاره صلوات الله وسلامه عليه من جهة أقارب زوجاته، فسأجملهم ومواقفه صلى الله عليه وسلم معهم على النحو التالي:

١- أما خديجة رضي الله عنها، فقد كان يحسن إلى أقاربها وصويحباتها، وكانت هالة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها كلما جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن، ارتاح لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقابلها بحفاوة بالغة وقال: (اللهم هالة) رواه البخاري [١].

٢- وأما عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها، فأبوها أحب الرجال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو صاحبه في حياته الدعوية كلها، وأبو بكر لا يمثل للنبي صلى الله عليه وسلم كصهر من أصهاره وإنما أعظم من ذلك، ولا يمكن أن يذكر موقف من مواقفه دون الآخر، فكتب السيرة مليئة من التعاملات التي كانت من رسول الله لصاحبه الصديق، ولعل من أبرزها قوله في حق أبي بكر رضي الله عنه: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً، وقوله لو وزن إيمان أبي بكر في كفة وإيمان الأمة في كفة لرجح إيمان أبي بكر رواه البخاري [٢].

٣- وأما حفصة فأبوها الفاروق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، الرجل الثاني بعد أبي بكر مع رسول الله، والذي كان يقدِّره رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقوَّته وشدَّته في الحق حتى قال له: والذي نفسي بيده ما رآك الشيطان سالكاً فجاً،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار برقم ٣٥٣٦

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة برقم ٤٤٧



إلا سلك فجاً غير فجك [1]، ومواقف النبي عليه الصلاة والسلام مع عمر كثيرة متعددة، فقد بشره بالجنة كما مر في حديث بئر أريس السابق.

٤- ومن أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين له مواقف تعاملية معهم، أبو سفيان رضي الله عنه، والد أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها، وقد أحسن إليه النبي صلى الله عليه وسلم إحساناً كبيراً عند إسلامه في فتح مكة، وهذا الموقف في السيرة يبين ذلك قال العباس رضي الله عنه يحدث في قصة إسلام أبي سفيان: والله إني لأسير عليها -أي على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم- إذ سمعت كلام أبي سفيان وبُدَيل بن ورقاء، وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً، قال: يقول بديل: هذه والله خزاعة، حَمَشَتْها الحرب، فيقول أبو سفيان: خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال العباس: فعرفت صوته، فقلت: أبا حَنْظَلَة؟ فعرف صوتي، فقال: أبا الفضل؟ قلت: نعم، قال: مالك؟ فداك أبي وأمي، قلت: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، واصباح قريش والله، قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة، حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك، فركب خلفي، ورجع صاحباه. قال: فجئت به، فكلما مررت به على نار من نيران المسلمين، قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا: عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إليّ فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبو سفيان، عدو الله؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وركضتُ البغلة فسبقت، فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان فدعني أضرب عنقه، قال: قلت: يا رسول الله، إني قد أجرته،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم ٣٠٥١



ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يناجيه الليلة أحد دوني، فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت مثل هذا، قال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك كان أحب إلى من إسلام الخطاب، لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به)، فذهبت، فلما أصبحت غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: (ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟) قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك؟ لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغني عني شيئاً بعد. قال: (ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟)، قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك: أما هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيء، فقال له العباس: ويحك أسلم، واشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، قبل أن تضرب عنقك، فأسلم وشهد شهادة الحق، قال العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً.، قال: (نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن) (١).

---

(١) انظر صفي الرحمن المبارك فوري، الرحيق المختوم، في أحداث فتح مكة طباعة رابط ة العالم الإسلامي



٥- وباقي أقارب نساء النبي عليه الصلاة والسلام الأخريات فلم أجد في سيرته مواقف معهم، وذلك لأن زواجه منهن كان لظروف خاصة، فلم يكن هناك ذكر لأقاربهن، إلا ما كان من أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها، فعندما تزوجها رسول الله أعتق بسبب ذلك الزواج مائة بيت من قومها، فكان لا يرى أن امرأة أدخلت على قومها من الخير مثلها رضي الله عنها [١].

(١) رواها أبو داود في سننه كتاب العتق، باب في بيع المكاتب ٣٤٢٩ وحسنه الألباني





المبحث الرابع: تعامله مع الجيران

هذا المبحث يجيب عن التساؤلات التالية:

ما أهمية التعامل الحسن مع الجيران،

ومن هم جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

وكيف كان تعامله معهم؟

وما الشواهد والنماذج العملية التطبيقية على ذلك؟

وما أثر التعامل الحسن مع الجيران على تنشئة الأسرة وسعادتها؟



قد أصبح مفهوم (حق الجار) من المفاهيم التي تحتاج إلى مزيد من الإيضاح والبيان، خاصة في زمننا الذي نعيش فيه، والذي أصبح لتأثير العولمة فيه أثراً كبيراً، فمع الأهمية العظمى للجار في شريعتنا الإسلامية، وقربه من الأسرة، لم أجد من كَتَب عن الأسرة أو النظام الأسري من تعرض لذلك، الارتباط الوثيق الذي يشكله مفهوم الجوار مع الأسرة، وقد أوصى الله تبارك وتعالى بالجار في آية الحقوق العظيمة في سورة النساء، في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾[النساء:٣٦] ونجد كذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عظَّم حق الجار حتى ربطه بالإيمان عندما قال: " والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قال الصحابة: خاب وخسر يا رسول الله من ؟! قال: من لا يأمن جَارُه بوائقه" [١] وعظَّم حقه عندما قال عليه الصلاة والسلام :" مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " [٢] وبناءً على غياب هذا المفهوم ساءت العلاقة بين الكثير من الجيران، وبات الكثير يشتكي من سوء تعامل جاره معه ومع أبنائه، ولا يرعى حق الجوار وحرمته وهذا الواقع ولا شك يؤثر سلباً في التنشئة الأسرية، إذ أن هناك ارتباطاً بين الجار والأسرة حتى عده رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء، كما سيأتي في مبحث مستقل إن شاء الله.

ولنا في رسول الله صلي الله عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة، في معاملة الجار، فقد كان يحسن في تعامله معهم، ولعل أبرز نموذج من التعامل والإكرام مع الجيران في حياة النبي عليه الصلاة والسلام، هو أن نأخذ أهل الصُّفة كنموذج لجيران رسول الله

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان برقم ٦٦

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب الوصاية على الجار برقم ٦٠١٤



وكيف كان يكرمهم ويحسن إليهم، وأسوق رواية أبي هريرة رضي الله عنه المشهورة التي أخرجها البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: " والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: يا أبا هر! قلت: لبيك يا رسول الله! قال: اِلحق، ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي، فدخل فوجد لبناً في قدح، فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: أبا هر! قلت: لبيك يا رسول الله! قال: الحق إلى أهل الصُّفة فادعهم لي، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية، أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أنا أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بُدٌّ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: يا أبا هر! قلت: لبيك يا رسول الله! قال: خذ فأعطهم، قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليّ القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليّ القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليّ القدح، حتى انتهيت إلى النبي



صلى الله عليه وسلم وقد رَوي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليّ فتبسم، فقال: أبا هر! قلت: لبيك يا رسول الله! قال: بقيت أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله! قال: اقعد فاشرب فقعدت فشربت، فقال: اشرب فشربت، فما زال يقول: اشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً، قال: فأرني، فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة) رواه البخاري [1].

ففي هذه القصة تأكيد على اهتمام رسول الله بجيرانه، وإكرامهم لا سيما وقت احتياجهم، وفقرهم كما هو الحال في أهل الصفة، كما كان تبادل الهدايا بين رسول الله وجيرانه شائعاً، مما كان يضفي نوعاً من المودة والمحبة على أسرته الكريمة. وشواهد ذلك كثيرة في سيرته عليه الصلاة والسلام.

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، باب كيف كان يعيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. برقم ٦٤٥٢



الفصل الثالث: السعادة الأسرية وتطبيقاتها في حياة النبي ﷺ

المبحث الأول: الأفراد الصلحين.

المبحث الثاني: المسكن الواسع.

المبحث الثالث: المركب الهنيء.



تمهيد

لما كانت الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع وصناعته وصياغته، كانت سعادتها مطلباً واستقرارها وأَمْنها غايةً وأملاً، وبقدر ما تكون الأسرة مستقرة في أفرادها وما يحيط بها بقدر ما تكون حصنًا منيعاً، ومدرسة دفاقة بالأمل والعمل والإنتاج، والسعادة من أهم مطالب الأسرة، ذلك أن البيت الذي ترفرف السعادة في جنباته، سوف يخرج أفراداً سعداء ولا شك، والبيت الذي تجانبه السعادة، سيعيش أفراده في ضنك وشقاء[1].

وإن أعظم سعادةٍ أسريةٍ هي تلك السعادة التي تقتفي سيرة نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، وتتخذ من حياته وتوجيهاته أنموذجاً تقتدي به.

وسعادة الأسرة: نعني بها ذلك النعيم الذي يعيش فيه المسلم والمسلمة والأبناء والبنات في حياتهم الدنيا، مستصحبين ذلك النعيم في حياتهم الأخرى.

وحيث أن في سيرة نبينا الكريم توجيهاتٍ كريمة، وإرشاداتٍ نيرة، فيما يخص المسلم فرداً كان أو مرتبطاً بأسرة، أو مرتبطاً بجماعة . سيكون في هذا الفصل ما يتعلق بسعادة المسلم المعاصر في أسرته التي ينتمي إليها، بذكر الإرشادات النبوية الكريمة لأن يحيا المسلم في أسرته حياة السعداء. وذلك لأن سعادة المسلم الدنيوية مرتبطة

---

(١) انظر نظام الأسرة في الإسلام، د. محمد عقلة، مكتبة السالية الحديثة، الطبعة الأولى ١٩٨٣م ٣/١



ارتباطاً وثيقاً بالأسرة إذ في أحضانها ينشأ، وفي أجواءها يترعرع، ومن معينها يرتشف، وأيضاً: لورود الأدلة الشرعية المرتبطة بالسعادة، في الجانب الأسري، وذلك من خلال ما ورد في شأن حياة المسلم الأسرية من قول الله تبارك وتعالى وقول رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام. ففي القرآن الكريم وجه الله تبارك وتعالى عباده إلى أول خطوة في تكوين الأسرة المسلمة السعيدة، وذلك بحثه العباد على الزواج بقوله تعالى

﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء:٣]، وبقوله تعالى:﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ ﴾ [النور:٣٢]

وحث أيضاً: على الاهتمام بالأهل ومناصحتهم بتقوى الله وذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم:٦]، وبين سبحانه وتعالى أن الأزواج والأولاد فتنة فلا يغتر بهم المسلم وينسى الله تبارك وتعالى بالانسياق وراء شهواتهم ومتطلباتهم، بقوله عزوجل: ﴿إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾ [التغابن:١٤]، وبقوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝١٥ ﴾[التغابن:١٥].

وفي السنة النبوية، تفصيل دقيق، لما يؤثر في سعادة المسلم الأسرية [١]، بل وذكر ما يعين على ذلك مما لابد منه للأسرة المسلمة من وسائل وسبل تعينها على الوصول إلى

(١) مجموعة محاضرات، (اللمسات المؤمنة للأسرة المسلمة)، الشيخ أحمد القطان، انتاج مؤسسة حنين.



تلك المنزلة الرفيعة، وذلك في الحديث الذي أخرجه الحاكم في مستدركه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع من السعادة المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاوة الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء) [(١)].

وفي هذا الفصل يكون التركيز والمناقشة العلمية لهذه العوامل. وذلك من خلال ما ورد من توجيه نبوي كريم ومن خلال حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في المباحث التالية:

الأول: الأفراد الصالحين.

الثاني: المسكن الواسع.

الثالث: المركب الهنيء.

وذلك بشيء من التفصيل على النحو الآتي:

(١) السلسلة الصحيحة، وقال الألباني هذا سند صحيح على شرط الشيخين. برقم ٨٢٨



المبحث الأول: الأفراد الصالحين

يناقش هذا المبحث الركن الأول من أركان سعادة الأسرة وهو الصلاح، لجميع الأفراد المكونين للأسرة، كما يناقش مقومات السعادة بالنسبة لكل فرد من أفراد الأسرة، مع ذكر التوجيه النبوي الكريم في ذلك، وأثر الصلاح في تكوين الأسرة السعيدة، اقتداء بأسرة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

إن الركن الأول من أركان الحياة الأسرية السعيدة التي يعيشها المسلم هم الأفراد الذين تتكون منهم الأسرة المسلمة وهم:

١ - الزوج.

٢ - الزوجة.

٣ - الأولاد.

ولكل منهم ما يتعلق به من حيث المقومات والخصائص اللازمة للحياة الأسرية السعيدة، التي يجب أن يكون عليها حتى ينعم ويسعد، وهذه الخصائص قد بينتها الشريعة الغراء بكل دقة، وبمنتهى الشفافية فيما يخص أفراد الأسرة في جميع شؤونهم [(١)].

(١) انظر نظام الأسرة في الإسلام د محمد عقلة ٦٧/١مرجع سابق.





أولاً: الزوج

مقومات السعادة بالنسبة للزوج في الأسرة كما يلي:

١ - الدين. ٢ - الخلق. ٣ - القَوامة.

وتفصيل ذلك على النحو التالي:

١-الدين:

ثبت في الحديث الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه) رواه ابن ماجة[1]، فجعل الدين من أهم صفات الزوج السعيد، والذي يمكن أيضاً أن يضفي سعادته على أفراد أسرته، الزوجة والأولاد فيكونون سعداء مثله.

والمتأمل يجد أن اشتراط الدين إنما حصل في نصوص الوحي من جهة الزوج، أما من جهة الزوجة فإن الشريعة قد أباحت الزواج من الكتابيات ولا يجوز للمرأة المسلمة أن تتزوج من غير المسلم، والحكمة في ذلك - والله أعلم - أن الزوج هو الذي له القوامة والأمر والنهي وأن الزوجة تتأثر بزوجها سلباً وإيجابا في العموم الأغلب فإذا صلح دينه واستقام فإن قَوامَته على المرأة داعية لتأثرها به.

(١) رواه ابن ماجه في السنن، كتاب النكاح، باب الأكفاء برقم ١٩٦٧. حسن لغيره، الألباني السلسلة الصحيحة برقم ١٠٢٢



وسر السعادة في اختيار صاحب الدين: أن الحياة الزوجية قائمة على المشاركة والبذل والتفاني [1]، ومن هنا فإن الزوج صاحب الدين سوف يبذل ويتفانى في أن يكون وزوجته على استقامة مرضية في الدين، والسعي إلى إكمال بعضهما الآخر، كما أن صاحب الدين يلتزم أمر الله ونهيه في زوجته على أي حال في الرضا والغضب، وفي اليسر والعسر وفي الفرح والحزن [2]. أضف إلى أن صاحب الدين ستنعكس تربيته لأبنائه على أساس هذا الدين لا على أي وجهة أخرى، ثم إن الشريعة لم تكتف باشتراط اتصاف الزوج بالدين حتى يُضَم إلى ذلك حسن الخلق.

٢-الخلق:

سبق في الحديث (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه)، والأمانة خُلق أخص من جملة الأخلاق، التي يظهر بها حسن الخلق، والزوج مؤتمن على زوجته ويجب عليه حفظها، لأن الزوجة إنما هي أمانة عند زوجها، فمن عُرف عنه صيانته للأمانة فإنه سيصون الأمانة ويحفظها.

---

(١) انظر الهداية الربانية إلى الضوابط الأمنية، انس كرزون، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ص٦٦

(٢) انظر تعليقات مصباح الزجاجة على زوائد ابن ماجه، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ٤٧٣/٢



وأهم ما ينبغي أن يكون عليه الزوج من خلق مع زوجته أن يراعي ثلاثة أمور هي كما يلي [1]:

أ - مراعاة طبيعة تكوينها من الضعف والنقص: فيصبر على ذلك فقد ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن المرأة خلقت من ضِلَع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها) [2] وفي الحديث الآخر (استوصوا بالنساء خيراً) [3].

ب- حفظها ورعايتها، والعشرة بالمعروف، فقد أمر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم الأزواج إلى حسن المعاشرة لأزواجهم، ويشمل ذلك كل وجه من وجوه التعامل الطيب معها، كما قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ ﴾ [النساء: ١٩]

ج- أن يحقق فيها (المودة والرحمة): إن أحبها ودّها وقرّبها وحنا عليها، وأظهر حبه لها مستغلاً في ذلك كل وسيلة وطريقة لبث روح الحب والمودة، وإن كرهها رحمها ولم يهنها أو يكفر عشرتها، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ

---

(١) انظر تحفة العروس، أو الزواج الإسلامي السعيد، الإستانبولي، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ص٤٣

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب المداراة مع النساء، برقم ٤٧٨٦

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، برقم ٣٠٨٤



أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الروم: ٢١].

فإن الرجل يمسك المرأة أما لمحبته لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما [١]، أو لغير ذلك.

ومن هنا فإن مطلب الخلق إلى جنب الدين مطلب ملح ومهم في سبيل تحقيق السعادة الأسرية، ولا ينفك أحدهما عن الآخر.

وقد جاء الوعيد في التهاون في مسألة الدين والخلق عند قبول الزوج بقوله عليه الصلاة والسلام (إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) [٢] فتنة تقع على الأفراد بالضياع وتبذّل الأخلاق، وفساد بانتشار الفتن وتفكك البيوت والأسر وضياع الأبناء، كل ذلك حين يتخلف أحد هذين الوصفين أوكليهما (الدين والخلق).

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير٦/٣٠٩

(٢) سبق تخريجه ص٤



٣-القوامة

اختص الله جل وتعالى الرجل بخاصية القَوامَة دون المرأة فقال جل وعلا: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾[النساء:٣٤]،

القوامة التي معناها الأمارة والرئاسة والتأديب، يقول ابن كثير رحمه الله ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت، ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ أي لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم لقوله عليه الصلاة والسلام "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" [١].

ولازم القوامة النفقة بالمعروف والذب عن الزوجة وحفظها، وتأمل التعبير بقوله (قوّامون) على صيغة المبالغة التي تدل على الأمر بالاجتهاد قي حفظ الزوجة ورعايتها وحسن تأديبها ومعاشرتها. وبذل المستطاع في سبيل حماية الأسرة.

والمتأمل البصير يجد أن القوامة ليست تشريف بقدر ما هي أمر وتكليف، وحين يتخلى الرجل عن صفة القوامة لتبرز في الزوجة فإن الأسرة هنا يختل وضعها وأمرها، لاختلال هذه الصفة في الرجل.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٠٣/١ مرجع سابق



فالبيت السعيد: هو البيت الذي تشعر فيه الزوجة بقوامة زوجها عليها وعلى أبنائها وبذله واجتهاده في ذلك. إذ فائدة القوامة راجعة إليها وإلى أبنائها.

لكن حين تبقى قوامة البيت في يد المرأة فإنه لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة، هذا على نطاق الأسرة وكذلك المجتمع والجماعات، ومن هنا كانت القوامة من أهم صفات الزوج الذي تكتمل به سعادة الأسرة باكتمال تحقيق أفرادها سبل السعادة [١].

والخلاصة أن العنصر الأول من عناصر الأسرة السعيدة هو الزوج والذي لابد أن يتمتع بالصفات الأساسية اللازمة حتى يضفي السعادة على أسرته، بأن يكون ديناً، خلوقاً، بيده القوامة التامة في إدارة دفة حياة الأسرة.

---

(١) انظر نظام الأسرة في الإسلام د محمد عقلة ١/١١٥



ثانياً: الزوجة

مقومات السعادة بالنسبة للزوجة في الأسرة كما يلي:

١- الصلاح.

٢ - الجمال.

٣ - اليسر.

وتفصيل ذلك على النحو التالي:



١.الصلاح:

المرأة الصالحة خير متاع الدنيا، كما قال عليه الصلاة والسلام: (الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة) [١] وكما قال أيضاً: (من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني) [٢].

وصفات المرأة الصالحة التي هي سبب من أسباب سعادة المسلم الدنيوية يمكن عرضها كما يأتي:

أ . مطيعة لله ولزوجها، قال الله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ ﴾[النساء: ٣٤] [٣] وقوله تعالى: ﴿ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ والقوامة هي قوامة رعاية.

والمرأة الصالحة تطيع زوجها، وقد شدد النبي عليه الصلاة والسلام في بيان طاعة المرأة الصالحة لزوجها تشديداً بليغاً وشبه ذلك تشبيهاً عظيماً عندما قال صلى الله عليه وسلم «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب النكاح، باب خير متاع الدنيا برقم ٣٦٢٨

(٢) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٢٦٨١/٢.، وقال حديث صحيح ولم يخرجاه.

(٣) انظر نظام الأسرة في الإسلام د محمد عقلة ١١٥/١



[1]، وقال أيضاً: (فإني لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده، لا تؤدي المرأة حق ربها، حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه) [2] وجاء في الأثر في بيان عظم دور صلاح الزوجة في حياة الزوج: (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله)[3].

ب . تتزين لزوجها لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا نظر إليها سرته) وقوله صلى الله عليه وسلم: (... فمن السعادة المرأة تراها تعجبك وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك...) [4]، والسرور والعجب إنما يكون من حال المرأة إن كانت متزينة متطيبة، تري زوجها منها ما يعجبه، ويسر به، وتتعمد الزينة لزوجها، لا لغيره، فهي مطالبة

(١) رواه الترمذي في السنن، كتاب الرضاع باب ما جاء في حق الزوج على الزوجة برقم ١١٥٩

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب حق الزوج على الزوجة، برقم ١٨٥٣ وفيه صدقه السمين ضعيف انظر ذخيرة الحفاظ ابن القيسراني ٢٠٠٢/٤، وقتب كناية عن شدة المطاوعة لزوجها، أي ولو كانت على بعير.

(٣) رواه ابن ماجة في سننه كتاب النكاح باب فضل النساء برقم ١٨٥٧ قال السخاوي له شواهد تدل على أن له أصل، المقاصد الحسنة ٤٢٦

(٤) السلسلة الصحيحة للألباني والحديث حسن برقم ١٠٤٧



بذلك شرعاً، وذلك من حيث زينة اللباس، والطيب، وكل ما تشعر المرأة أنه يسر زوجها ويعجبه.

ج ـ ترعى بيتها وتحفظ نفسها وماله : فالأصل في المرأة أنها أمٌ وربةُ بيتٍ، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[١] ولقوله صلى الله عليه وسلم: «وتغيب فتأمنُها على نفسها ومالك» وقوله في الروايات الأخرى (وإذا غاب عنها حفظته) (وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله) وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (خير النساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على بعل في ذات يده) [٢]. وهناك نماذج كثيرة لأزواج الصحابة رضي الله عنهم أجمعين تبين كيف كانت خدمة الزوجة لزوجها، وما ينشأ عن ذلك من آثار إيجابية على الأسرة، فهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، وعن أبيها زوجة الزبير بن العوام رضي الله عنه تقول: (تَزَوّجَنِي الزّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلاَ مَمْلُوكٍ وَلاَ شَيْءٍ، غَيْرَ فَرَسِهِ. قَالَتْ: فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ. وَأَكْفِيهِ مَؤُنَتَهُ، وَأَسُوسُهُ، وَأَدُقّ النّوَىَ لِنَاضِحِهِ، وَأَعْلِفُهُ، وأستقي الْمَاءَ. وَأَخْرِزُ غَرْبَهُ، وَأَعْجِنُ. وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، برقم ٤٩٠٤

(٢) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب فضائل نساء قريش، برقم ٢٥٢٧



أَخْبِزُ. وَكَانَ يَخْبِزُ لِي جَارَاتٌ مِنَ الأَنْصَارِ. وَكُنّ نِسْوَةَ صِدْقٍ. قَالَتْ: وَكُنْتُ أَنْقُلُ النّوَى، مِنْ أَرْضِ الزّبَيْرِ الّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم، عَلَىَ رَأْسِي. وَهِيَ عَلَىَ ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ". وفي رواية أخرى لمسلم عنها قَالَتْ: "كُنْتُ أَخْدُمُ الزّبَيْرَ خِدْمَةَ الْبَيْتِ. وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ. وَكُنْتُ أَسُوسُهُ. فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْخِدْمَةِ شَيْءٌ أَشَدّ عَلَيّ مِنْ سِيَاسَةِ الْفَرَسِ. كُنْتُ أَحْتَشّ لَهُ وَأَقُومُ عَلَيْهِ وَأَسُوسه) [١].

د. تعين زوجها على أمر الآخرة: وهذه الصفة من أحوج ما يحتاج إليه المسلم في هذا العصر، أن يجد من زوجته إعانة على أمر الآخرة، وتشجيع على العمل الصالح والتضحية في سبيل الله تعالى، عن ثوبان رضي الله عنه قال: لما نزل في الفضة والذهب ما نزل، قالوا فأي المال نتخذ قال عمر فأنا أعلم لكم ذلك، فأوضع على بعيره فأدرك النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في أثره فقال يا رسول الله أي المال نتخذ؟ فقال: (ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر آخرته) [٢]. ولا شك أن المرأة إن كانت معينة زوجها على أمر آخرته، فقد أدخلت عليه السعادة، ويشمل ذلك كل ما يتصل بالطاعات والأعمال الصالحة التي تحتاج تذكير وإعانة من صلاة وصيام وصدقة وذكر ونحو ذلك.

---

(١) رواه مسلم، كتاب النكاح باب جواز إرداف المرأة، برقم ٢١٨٢٠

(٢) رواه ابن ماجه في سننه كتاب النكاح باب فضل النساء برقم ١٨٥٦ له شاهد من حديث ابن عباس في الصحيح المسند برقم ٥٨١، قال الوادعي صحيح على شرط مسلم



بل إن هناك دعاء بالرحمة من النبي عليه الصلاة والسلام لمن أعانت زوجها على قيام الليل، ولمن أعان زوجته كذلك، كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء)[١].

فما أسعد هذه الأسرة، وما أهنأ عيشها، وما أطيب ما هي فيه من النعيم.

هـ – أن تكون ذات دين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل) [٢]. وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: (خير نسائكم الودود الولود المواتية المواسية إذا اتقين الله) [٣].

(١) رواه النسائي، كتاب قيام الليل، باب الترغيب في قيام الليل برقم ١٥٩٢ اسناده صحيح، انظر النووي، الخلاصة ١/ ٥٨٧.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب تزويج ذات الدين، برقم ١٨٤٩فيه ١/٣٧٧الافريقي ضعيف، انظر تفسير القران العظيم لابن كثير

(٣) أخرجه البيهقي في السنن برقم ١٣٢٥٦/٧.



ومما يفسد دين النساء في هذا العصر ما ينشر في وسائل الإعلام من أفكار كفرية بعيدة كل البعد عن معاني الدين الإسلامي، المقصود بها إفساد المرأة المسلمة وإخراجها من دينها وتبرجها، كما هو واقع في المسلسلات التافهة المضللة، والأفلام الهابطة، التي تعج بها الفضائيات والشاشات صباحًا ومساءً [(١)].

و ـ حسن التبعل للزوج والحرص على مرضاته ،و في الأثر التالي ما يبين عظم هذا الأمر وأهميته وهو ما ترويه الصحابية الجليلة أسماء بنت يزيد الأشهلية رضي الله عنها أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت: (بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، إنه ما من امرأة كانت في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المريض، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجّاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم في هذا الخير يا رسول الله؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها عن أمر دينها من هذه؟ فقالوا

(١) بصمات على ولدي، طيبة اليحيى، دار الوطن للنشر، الطيعة الثالثة، محرم ١٤١٢هـ ص٤١



يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله، قال فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً) [١].

ومن حسن تبعل المرأة لزوجها ألا تصوم نافلة وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن لمحارمها في بيته إلا بإذنه للحديث المتفق عليه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ولا تأذن في بيته إلا بإذنه) [٢]

وأيضا لا تصلي نافلة إلا بإذنه فعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تأذن المرأة في بيت زوجها إلا بإذنه، ولا تقوم من فراشها فتصلي تطوعا إلا بإذنه) [٣]

ومن حسن تبعلها أن تترضاه إذا غضب لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عليه الصلاة والسلام: (ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود

---

(١) رواه البيهقي في الشعب برقم ٨٧٤٣/٦

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري ١٥٩٦/٢ حديث صحيح في البخاري برقم ٥١٩٥

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حققه حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية الجز الحادي عشر، رقم الحديث ١٢١٤٤ الحديث ضعيف انظر السلسلة الضعيفة للألباني ٤٧٧١



على زوجها التي إذا آذت، أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها، ثم تقول والله لا أذوق غمضاً حتى ترضى) [1].

هذه الصفات الإيجابية التي ينبغي للمرأة أن تتصف بها وهناك صفات سلبية ينبغي أن تتجنبها وهي:

أ ـ ألا تؤذي زوجها، بأي نوع من أنواع الأذى المعنوي أو الحسي، حتى لا تتعرض لدعوة الحور العين في الجنة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا) [2].

ب ـ ألا تشكو زوجها إلى وليها ولا تخبره بما يجري لها مع زوجها من أحوال إلا إذا بلغ الأمر مبلغاً عظيماً لا تستطيع معه المرأة السكوت، لأن في شكواها زوجها إلى وليها من المفاسد المحتملة، ما يفوق اختلافها مع زوجها بكثير، فعليها الصبر والاحتساب، إلا مما ليس منه بد.

(١) رواه النسائي، كتاب النكاح، باب الوصية بالنساء برقم ٩١٣٩، قال ابن حزم لا بأس به، انظر المحلى ١٠/٣٣٤

(٢) رواه الترمذي في السنن كتاب الرضاع، باب كراهية الدخول على المغيبات، برقم ١٠٩٤ صححه الذهبي انظر سير أعلام النبلاء ٤/٤٧



ج ـ ألا تكثر الخروج من بيتها، فالخِدر للمرأة خير من بروزها للرجال، واشتغالها في مطبخها أو رعاية ولدها أفضل من صفقها في المواصلات العامة، والأماكن العامة تزاحم الرجال وتختلط بهم، وإن كان قد ظهرت أصوات معاصرة تنادي بضرورة إخراج المرأة من بيتها، اقتداء بما يصنع الغربيون، وهذه دعوات باطلة، وجاهلية معاصرة (١).

تلك حلية المرأة الصالحة التي عليها أن تتزين بها، وأوصافها التي تجلب السعادة والنعيم على زوجها وأولادها وبيتها، فتعيد المرأة الصالحة بذلك الصلاح سيرة المؤمنات الصادقات السعيدات اللائي صاحبن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنّ بحق شقائق الرجال المؤمنين الصادقين السعداء الذين قال الله فيهم وفيهن: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ ﴾[الفتح:٥].

(١) قضية تحرير المرأة، محمد قطب، دار الأندلس، الطبعة ١٤١١هـ ص ٦١



٢.الجمال:

المراد بالجمال هنا جمال المظهر والمخبر [١]، فجمال المخبر بجمال الروح وشفافيتها، هو جمال العفة والطهر والحياء [٢]، وهذا المقصود الأعظم من طلب الجمال في المرأة، أن تكون طاهرة السريرة نقيّة عفيفة حيية، تشكر على المعروف، وتحسن التبعل، تقيم فرضها وتحفظ بيتها وترعى أبناءها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت" [٣]

فهذا النص النبوي الكريم قد أبان أصول جمال الروح عند المرأة وهي:

١. المحافظة على الفرائض.

٢. تحصين الفرج (فيه كناية عن الطهر والعفاف).

٣.طاعة الزوج (حسن التبعّل له وعشرته بالمعروف) [٤]

---

(١) انظر الفوائد لابن القيم ص٢٢٥

(٢) انظر تربية النشء في ظل الإسلام، د. محمود عمارة سلسلة دعوة الحق، مطابع الرابطة العدد (٢٦) عام ١٤٢١هـ. ص٤٦

(٣) رواه ابن حبان برقم ٤١٦٣/٩فيه الربيع بن صبيح ضعيف، انظر ذخيرة الحفاظ ابن القيسراني ٣٣٢/١

(٤) انظر الزواج، للشيخ ابن عثيمين، دار الوطن للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ ص١٨



ثم يأتي بعد جمال المخبر جمال المظهر، وهو مقصد تكميلي لدوام العشرة والسعادة بين الزوجين، فإن النفوس جُبلت على حب الجميل الذي تأنس به العين ويسكن إليه الفؤاد، وفي هذا تغنّى الشعراء وتاه الأدباء - إلا من رحم ربك- والجمال من هذه الجهة في أصله لا يستطيع العبد أن يتصرّف فيه، لكن الله تعالى أباح للمرأة أموراً تتجمل وتتزين بها لبعلها مما يزيد في حسن تبعلها ودوام الألفة بينها وبين زوجها، وجمالها من هذه الجهة يكون في الأمور التالية:

أ - أن تكون بكراً غير ثيّب، فإن البكر أدعى للألفة والمحبة لما يكون منها من شدة الاهتمام والعناية بالتجمّل والزينة، ولذلك جاءت السنة بالندب للتزوج من الأبكار: من حديث جابر رضي الله عنه "فهلاّ بكرا تلاعبها وتلاعبك" (١) وفي رواية "وتضاحكها وتضاحكك" (٢)، وقال صلى الله عليه وسلم "عليكم بالأبكار فإنهن أسخن إقبالاً وأنتق أرحاما وأرضى باليسير من العمل" (٣).

ب- حسن التجمل والزينة في الهيئة ثم مع هذا - أي مع كونها بكراً - فإن على المرأة أن تعنى بهذا الجانب عناية خاصة من حسن التجمّل والزينة للزوج، فإن المرأة

---

(١) النسائي في السنن كتاب النكاح باب نكاح الأبكار ٣٢١٩/٦ وهو في البخاري برقم ٥٢٤٧

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب عون المرأة زوجها برقم ٥٠٥٢ له روايات صحيحه صححها الألباني في الجامع الصحيح برقم ٤٠٥٤

(٣) رواه ابن ماجه في السنن كتاب النكاح باب تزويج الأبكار، برقم ١٨٦١



بتكميلها لهذين الجمالين (المخبر والمظهر) تكون كنزا من كنوز الدنيا، وكما ورد في الأثر أن خير ما يكنز المرء: المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته [١].

فتأمل الوصف:(إذا نظر إليها سرته) ببشاشة وجهها وطلاقته، وحسن هيئتها وجمالها، هذا بمجرد نظره إليها تُسرّ نفسه وتأنس عينه، فما بالك بما بقي [٢].

ولذلك ينبغي على الزوجة أن تعنى بجمالها وحسن هيئتها سيما في زمن أصبحت فيه بضاعة الشهوة والجنس الرخيص سائبة، فإن المؤمن يحتاج في بيته ما يكفّ به بصره عن الحرام، ويقنعه من أن يمدّ عينيه إلى زهرة الحياة الدنيا.

كما ينبغي على المرأة أن تحذر في هذا الباب من أن تَنْجَرَّ وراء لهاث الموضة والصرخة الأخيرة، فتكلّف نفسها أن تتزين بما حرم الله تعالى من تغيير خلق الله وتبديله بالنمص أو الوشم أو الفلج أو الوصل وغير ذلك من أمور التجميل التي يعود أثرها بالضرر المتحقق على الإنسان.

إذاً الجمال هو مطلب من المطالب التي ينبغي للمرأة أن تسعى لتكميل نفسها به، وهو ليس في الجمال الظاهر فقط وإنما الجمال أيضاً جمال في النفس والروح، وهو

---

(١) الزواج، لابن عثيمين، ص١٩،

(٢) انظر أدب الدنيا والدين، للماوردي، دار الكتب العلمية، طبعة ١٤٢٤هـ ص١١٨



إذا ما وجد كان مقوماً كبيراً من مقومات الزوجة الصالحة التي بها يسعد المسلم في حياته.

٣.اليسر:

قد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن اليسر في الزواج يسبب بركة الزوجة والحياة معها، سواء اليسر في مهر الزواج أو في غيره من الأمور المتعلقة به، كما قال صلى الله عليه وسلم "خيرهن أيسرهن صداقا" [١]، وفي الحديث الآخر: "أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا" [٢]، والبركة تعني زيادة الخير ونماءه [٣].

فحال الزوجة المتيسر أمرها أكثر وأعظم بركة ممن غلا صداقها وفحش، وإنك ترى اليوم كيف يقضي الزوج حياته في تعاسة وشقاء بعد الزواج من جرّاء الديون المتكاثرة عليه بعد الزواج، إيجار في شقة فاخرة، وتقسيط لأكثر من سيارة، وقرض من هيئات ومشاريع خيرية، كل ذلك ليستكمل المهر وليقيم حفلة زفاف تليق بما عليه الناس في هذه المظاهر الاجتماعية الدخيلة على المجتمعات الإسلامية، فأي سعادة هذه السعادة التي يجدها من يعيش همّ الدين بالليل وذلّه بالنهار؟ بل أي سعادة يجدها الزوج مع زوجة يشعر أنها هي سبب شقائه وبلائه ومصائبه وهمومه؟

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه برقم ٩/٤٠٣٤

(٢) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٢/٢٧٣٢، اسناده جيد انظر العراقي تخريج الإحياء ٢/٥٢

(٣) انظر الزواج الإسلامي السعيد، ص٦٩



وكم يحدث من حالات طلاق تمّت بعد الزواج بأسبوع أو أسبوعين أو شهر أو شهرين، ثم جلسات وجلسات في أروقة المحاكم لاستخلاص الحقوق والأموال الطائلة التي صرفت في زواج هذه المطلقة [1].

من هنا نعلم أن من أراد دوام السعادة الزوجية فعليه أن يبحث عن اليسيرة الميسّرة لتحلّ في بيته البركة التي أخبر عنها صلى الله عليه وسلم، على أن صفة اليسر صفة نسبية تختلف من فئة لأخرى، لكن تبقى صفة اليسر صفة يحسّها الزوج في زواجه وعشرته.

فالمرأة اليسيرة:

أ - يسيرة المهر والصداق.

ب - يسيرة الجَهاز والزفاف.

ج - يسيرة العشرة والألفة.

د - يسيرة الطلبات والرغبات، فلا تكلّف زوجها ما لا يطيق، بل هي تعيش حياتها متكيّفة مع حال زوجها قنوعة صبورة شاكرة حامدة [2].

(١) انظر كوكبة الخطب المنيفة، د. السديس، مكتبة إمام الدعوة العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ص٤٢٩

(٢) الزواج، لابن عثيمين، ص٣٦..



ثالثاً: الأولاد

ومقومات السعادة بالنسبة للأبناء هي:

١ - الصلاح.

٢ - البر.

٣ - الصحة [١].

وتفصيل ذلك على النحو التالي:

---

(١) انظر كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي، دار رمادي للنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ. ص ٤٤.



١. الصلاح:

صلاح الأولاد من أعظم مقاصد الشريعة في تكوين الأسرة المسلمة، إذ الأولاد هم الجيل الذين تعوّل عليهم الأمة في صناعة مجدها وصياغة عزّها على نور من الوحي والهدى، وكما أن صلاحهم مطلب شرعي، فهو أيضا: قرة عين لآبائهم، فالابن الصالح ثمرة خير وبركة على البيت المسلم، ويشعر المسلم بسعادة تغمر جوانحه وهو يرى ابنه في حياته صالحاً طائعاً لله تبارك وتعالى، وليس ذلك فحسب بل آثاره في الواقع بيّنة ويمتد أثر صلاحه حتى بعد وفاة أبويه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" [١]

فبركة صلاح الولد تصل إلى أبويه حتى بعد موتهما وليس ذلك إلا للولد الصالح. ولهذا كان صلاح الأولاد من أعظم مطالب السعادة في الأسرة السعيدة [٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان بعد مماته برقم ٣٠٨٤

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١١/٨٧.



وهو أيضاً من أعظم سعادة المسلم في حياته أن يرى أبناءه صالحين، ولذلك جاءت نصوص الشريعة متوافرة بالأمر برعاية الأبناء وحسن تربيتهم وتأديبهم [(١)].

قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[الكهف:٤٦] [(٢)]؛ والولد مشغلة وفتنة كما قال الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[التغابن:١٥] وورد في الأثر (الولد مجبنة مبخلة) [(٣)] ولهذا عطف الله تعالى بقوله:﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الكهف:٤٦] والباقيات الصالحات تشمل جميع الطاعات، الواجبة والمستحبة [(٤)].

وسر هذا العطف أنه لما كان الولد فتنة والإقبال عليه، والتفرغ له والشفقة عليه والجمع له قد تشغل العبد عن المقصود الأعظم من حصول الأبناء، نبه الله تعالى إلى أن الاشتغال بتربيتهم تربية صالحة، وادخارهم للآخرة خير من تسمين عقولهم، وخواء قلوبهم، ولذلك يسمى الولد الصالح (عملا صالحا) [(٥)]

---

(١) انظر تربية النشء في ظل الإسلام، محمود عمارة ص٨٠،

(٢) انظر تفسير ابن كثير، ١٦١/٥

(٣) رواه ابن ماجه كتاب الأدب، باب بر الوالد برقم ٣٦٥٦ صححه الألباني، انظر صحيح ابن ماجه ٢٩٧٢

(٤) انظر تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ١٣٣/٣.

(٥) انظر فتح القدير للشوكاني يدار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ ٦٢٨/٢،



قال الله تعالى في حق ابن نوح عليه السلام ﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَـٰلِحٖۖ ﴾ [هود:٤٦] وبما أن الصلاح والهداية أمر بيد الله تعالى كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ [القصص:٥٦] كان في التربية الإسلامية بعض التدابير الوقائية التي تعين الوالدين على أن يسلك أبناؤهم طريق الهداية والصلاح، فمن ذلك ما يلي:

أ- حسن الاختيار:

أي حسن اختيار الزوجة أو الزوج على ضوء الوصية النبوية التي جعلت أساس معيار الاختيار في أمرين (الدين والخلق)[١].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الأبناء يتأثرون بدين آباءهم فعن أبي هريرة رضي الله أنه قال: قال: النبي صلى الله عليه وسلم "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء" ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ [الروم: ٣٠][٢].

(١) نظام الأسرة في الإسلام، د محمد عقلة ص١١٥

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي ثم مات هل يصلى عليه، برقم ١٢٧٠



ب- الذكر عند الوقاع:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا" (١).

قال ابن حجر رحمه الله: كثير ممن يعلم هذا الفضل العظيم يذهل عنه عند المواقعة والقليل الذي يستحضره (٢).

ج. الأذان في أذن المولود عند الولادة:

عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة" (٣) فإن المولود عند خروجه يمسّه الشيطان فيستهل صارخاً لحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما من مولود يولد إلا يمسه الشيطان فيستهل صارخا إلا مريم ابنة عمران وابنها إن شئتم اقرؤوا ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ ﴾ [آل عمران:٣٦] " ومن هنا ندرك حكمة الأذان في أذن المولود عند ولادته، فمن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب التسمية في كل حال وعند الوقاع، برقم ١٣٨

(٢) الفتح ٩ / ٢٢٩مرجع سابق.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الصلاة، باب الآذان في أذن المولود، برقم ١٥١٤ فيه عاصم بن عبد الله سيء الحفظ، انظر ابن حبان، المجروحين ٢/١١٠



ذلك تحصينه من الشيطان الرجيم، لأن الشيطان إذا سمع الأذان (ولّى وله ضراط)[1].

د- تربية الأبناء على الفرائض والآداب الشرعية في أحوالهم وحياتهم[2]

وإن من أهم ما ينبغي أن يغرسه الآباء في نفوس أبنائهم وأطفالهم ما يلي:

(١) حب الله تعالى.

(٢) حب الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٣) حب القرآن.

(٤) أدب المعاملة مع الآخرين: (الوالدين - الإخوان - الأقارب - والأرحام- الجيران - الناس على اختلاف طبقاتهم - الحيوان).

(٥) تعويدهم على الآداب الشرعية في أحوالهم وحياتهم، كاحترام الوالدين، وإكرام الضيف، وتربيتهم على الصدق وبغض الكذب، وتعويدهم على الأذكار كأذكار الطعام والشراب والنوم والاستيقاظ والخروج من المنزل والدخول، وتعليمهم على الشعور بالآخرين، والعطف على الضعفاء والمساكين، إلى غير ذلك من الآداب

---

(١) رواه أحمد في مسنده، مسند المكثرين برقم ٨٨٠٥ والحديث له رواية أخرى في صحيح مسلم برقم ٣٨٩

(٢) انظر مسؤولية الأب المسلم في تربية الطفولة د عدنان با حارث، دار المجتمع، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ ص ٦٥٠



الشرعية، والسنن النبوية التي تكون كفيلة بعون الله في إصلاحهم وتنشئتهم تنشئة صالحة [١].

وقد جاء التوجيه النبوي الكريم بوسائل تلك التربية فمن ذلك ما يلي:

١. الأمر بالصلاة في سن السابعة، والضرب عليها في سن العاشرة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: "مروا أبناءكم للصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر" [٢]، فقد جعل سن السابعة سن الترغيب في الصلاة والتشجيع عليها، فانظر لو أن طفلا بدأ يصلي من عمر السابعة في اليوم يصلي خمس صلوات، وفي الأسبوع (٣٥) صلاة، وفي الشهر (١٤٠) صلاة، وفي العام (١٦٨٠) صلاة وفي ثلاثة أعوام (٥٠٤٠) مرة يصلي فيها فهل ترى من نشأ على ذلك يترك الصلاة حين يبلغ سن العاشرة؟!! [٣]

٢. إظهار شعيرة الصلاة في البيت تعليماً لأهل البيت وشحذًا للهمم، فالطفل بطبعه يحب أن يقلّد الكبار في أفعالهم، ومن هنا جاء التوجيه النبوي الكريم (صلوا في بيوتكم) [٤] الأمر الذي يتحقق به تحصين البيت من الشيطان الرجيم ويحصل به تعليم أهل البيت وتربيتهم على ذلك.

---

(١) انظر ثقافة الطفل المسلم، أحمد الحلبي، دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ص ٢٣٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم ٦٧٥٦/٢ صححه احمد شاكر في صحيح المسند ٣٦/١١

(٣) انظر مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد د عدنان باحارث ص١٩٢ مرجع سابق

(٤) رواه النسائي في سننه كتاب قيام الليل باب الحث على الصلاة في البيوت برقم ١٢٩٠ قال ابن عبد البر ثابت من جهة الإسناد، انظر التمهيد ٢٢٩/٥



٣. اصطحاب الأبناء للمسجد ومواطن العبادة، وذلك له بالغ الأثر في نفس الطفل حين يرى جموع المصلين، تكبر مع الإمام وتصلي معه وتؤمن لتأمينه، ومثل هذا ينبغي على الوالدين العناية به، كما ينبغي على المجتمع أن يحترم ويقدّر هذا الطفل بالتشجيع والثناء وعدم زجره وتأنيبه لو أخطأ في مشاغبة أو نحوها في المسجد فإن الطفل من طبعه كثرة الحركة، ولذلك ينبغي على الآباء والمجتمع أن يشجعوا هذه الظاهرة بالتوجيه، والتشجيع لا بالتأنيب والتقريع والتوبيخ. فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينزل من على منبره ليحمل الحسن أو الحسين وكان الحسن أو الحسين يرتحله وهو ساجد فيطيل السجود، مما يبين المنهج النبوي في تعويد الأطفال على طبيعة المسجد وما يكون فيه من الصلاة والعبادة. ومن ذلك صحبة الطفل في حج أو عمرة أو إلى المسجد الحرام أو أي موطن للعبادة (مثل حضور حلقات علم أو محاضرات عامة) ونحوها، مما يولّد عند الطفل حبًا وارتباطاً بمثل هذه المواطن وما يكون فيها من الشعائر [1] فكم هي سعادة المرء حين يكون أسعد الناس به من حوله من أهله وأبنائه، وليت شعري كم هو شقي كل الشقاء من كان أشقى الناس به

---

(١) انظر ثقافة الطفل المسلم الحلبي ص٣٢٣.



أقربهم إليه، وقد كان أسعد السعداء عليه الصلاة والسلام يقول "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" [1].

٤. الدعاء: ومن وسائل التربية والتنشئة الالتجاء إلى الله تعالى بطلب صلاح الولد، وهذا هو وصف الله تعالى لعباد الرحمن أنهم يدعونه تعالى أن يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم ما تقر به أعينهم كما حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾[الفرقان:٧٤]، ذلك أن الإنسان إذا بورك له في ماله و ولده قرت عينه بأهله وعياله، حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت فيها أمانيه من جمال وعفة، ونظر أو كانت عنده ذريةً محافظين على الطاعة، معاونين له على وظائف الدين والدنيا لم يلتفت إلى زوج غيره ولا إلى ولده، فتسكن عينه عن الملاحظة ولا تمتد عينه إلى ما ترى فذلك حين قرة العين وسكون النفس[2].

ودعاء الوالدين لأبنائهم من أقرب الأدعية إجابة عند الله، وذلك لما يقوم في نفس الوالدين أو أحدهما حال الدعاء من شدة الحرص والإشفاق وصدق اللجأ والطلب. ولذلك ينبغي أن يراعى الوالدان ألسنتهم عند الدعاء فلا يدعون على أبنائهم إلا بخير

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، فضل عائشة رضي الله عنها، برقم ٣٨٣٠ صححه ابن جرير الطبري، مسند عمر ٤٠٨/١

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣٢/٦



وعافية، فرب دعوة توافق استجابة تكون بها سعادة الدنيا والآخرة، ورب دعوة تحبط العمل وتعود على صاحبها بالحسرة والندامة[1].

٢-البــر:

الثاني من مقومات السعادة فيما يتعلق بالأبناء هو البر ومن المؤسف جداً أن يتزوج الرجل وتتزوج المرأة، ثم إنهم يغفلان عن البر بآبائهم ظنّاً منهم أنهم قد شبوا عن الطوق، ولم يعد متعلق في ذمتهم البر بآبائهم بعد الزواج، وهكذا تبقى سلسلة العقوق متصلة في العقب والذرية – نسأل الله الحماية – ولا يزال البيت يتجرّع مرارة الشقاء بسبب عقوق الآباء، وقد جاء في الأثر: "بروا آباءكم تبركم أبناؤكم"[2].

(١) انظر برا لوالدين، قيمة إسلامية عظيمة، عبد الله عبد العزيز، مدار الوطن للنشر، الطبعة الأولى ص١٤٢٥هـ ص١٥

(٢) رواه الطبراني في الأوسط برقم ١٠٠٦/١ (تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف بالرياض ص٨ ضعفه الألباني، انظر السلسلة الضعيفة ٢٠٣٩



وفي سبيل تحصيل السعادة ببر الأبناء جاء في التربية الإسلامية جملة من الأمور المعينة على ذلك منها:

أ- العقيقة عن المولود:

فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من ولد له منكم مولود فأحب أن ينسك عنه فليفعل عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة" [١]، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الغلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه" [٢].

فالعقيقة عن المولود وسيلة من وسائل تحقيق بر الأبناء وتجنيبهم العقوق.

ب- اختيار الاسم الحسن للمولود:

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الاسم الحسن ويعجبه الفأل الحسن، ثم إن الاسم له أثر على شخصية حامله [٣]، وبقدر ما يكون اسم الولد حسناً بقدر ما يوجد أثر ذلك في بر الأبناء، فإن الابن قبيح الاسم يكبر وتكبر معه أحقاده على من تخيّر له اسم يُعيّر به وهذا أمر واقع [٤].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٤/٧٥٩٢ والحديث مسند من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده واختلف فيه على عمر، نظر التمهيد لابن عبد البر ٤/٣٠٤

(٢) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٤/٧٥٨٧ صححه ابن حزم في المحلى ٧/٥٢٤

(٣) كيف يربي المسلم ولده محمد مولوي دار رمادي للنشر الطبعة الثالثة ١٤١٦هـص٩٧

(٤) انظر مسؤولية الأب المسلم في تربية الطفل، د. عدنان باحارث دار المجتمع، الطبعة ١٤١٨هـ، ص٥٧ وأيضاً تربية الأولاد في الإسلام د عبد الله علوان ص ٨٤.، تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ ص٨١



ج- **تدريب الطفل على عادة الأدب والاحترام**، في كل المواقف والتصرفات، واغتنام أي فرصة لغرس ذلك، مع ملاحظة عدم وجود ما يخل بالاحترام في الأسرة بين الوالدين، فلا يرفع أحد الوالدين صوته على الآخر أمام الأبناء، ولا يعطي كل منهما أوامر مخالفة للآخر، حتى لا يقع الابن في تناقض، وحتى لا تسقط قيمة الاحترام عند الابن [١].

د- **تشجيع الطفل ومكافأته على حسن بره**، ومساعدته لأبويه وسماعه للتوجيهات، بكلمة طيبة، أو بدعاء بصوت يسمعه، أو بوعده بهدية وتحقيق ذلك، أو إخراجه لنزهة أو ما أشبه ذلك، فقد يقوم الطفل بمساعدة والدته في بعض شؤون المنزل، فلا يمر هذا الموقف دون مكافأة، أو إشادة وحسن توجيه، أو قد يقدم خدمة جليلة لأحد الوالدين لم تطلب منه، فيشكر على ذلك ويكافأ حتى يزداد براً وأدباً.

---

(١) انظر مسؤولية الأب المسلم ص ٢٠٤، ٢١٤ .مرجع سابق.



هـ - عدم التغاضي عن خطأ الابن في حق والديه، فقد يحدث أن يتكلم الابن على أحد الوالدين بكلام غير لائق، أو يرفع صوته، أو يرفع يديه، أو نحو ذلك، فينبغي ألا تمر هذه المواقف بدون تأديب، [1] لأن إمرارها هكذا يجر الابن إلى التمادي فيما هو أكبر، أو يظن أن الأمر سهل فينشأ على العقوق [2].

و. إشعار الأولاد بالحب والقرب منهما، فبقدر ما تنمو عاطفة الحب عند الأولاد وتشع روح المحبة بين الأولاد وآبائهم بقدر ما تستقيم سعادة الأسرة على طريق البر والإحسان [3]، وحين يتحقق بر الأبناء بوالديهم فإن السعادة تغمر البيت كما لو كان جنة من جنان الدنيا.

استشعر معي سعادة ذلك الابن الذي كان يغبق لوالديه اللبن، وفي يوم تأخر عليهما بالغبوق، فأدركهما، وقد ناما فوقف على رأسهما حتى يستيقظا ليعطيهما غبوقهما، وأطفاله من حوله يتضاغون، كتضاغي صغار الطير من شدة الجوع وهو يؤثر ألا يطعم الغبوق أحد قبل والديه، فيا لله ما أجمل نغمات التضاغي، ويا الله ما

---

(١) المصدر السابق ص٨٥

(٢) كيف نجعل من الطفل رجل المستقبل الصالح، بهية السبيت، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ص١٣

(٣) الزواج الإسلامي السعيد، الاستامبولي، ص٣٧٥،



أعذب وأهنأ وامرئ الغبوق بعد شِبع الوالدين، وتأمل أثر هذا البر في واقع الحياة وكيف أنه بسبب ذلك فرّج الله عن هذا البار كربة من كرب الدنيا [1].

كم هو سعيد ذلك المسلم الذي بر والديه، فكون أسرة صالحة سعيدة، يبره أبناؤه فيها [2].

٣. الصحة:

الصحة هي مقوم من مقومات سعادة الأسرة، وإن من أعظم ما يدخل السرور والسعادة في البيت أن يكون الأبناء في صحة وعافية، فكم يكون البيت كئيباً حين ما يمرض الأطفال، فلا الليل ليل ولا النهار نهار، يشعر بهذا كل أب مشفق وأم حانية.

وقد ذُكر عن بعض السلف أنهم كانوا يهنئون من وُلد له ولد بسلامة المولود وأنه لم يكن معاقا أو معتوها، بل كان بعضهم أول ما يسأل عنه عند ولادة المرأة: السؤال عن حال الطفل وصحته.

---

(١) حديث الغار رواه البخاري كتاب التفسير، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف، برقم ٤٢٧٨

(٢) انظر بر الوالدين قيمة اسلامية عظيمة، ص١٥،



ومن هنا نجد أن بعض التوجيهات النبوية في حق المولود تشير من ضمن ما تشير إليه إلى أهمية حفظ الصحة للأطفال؛ فمن ذلك:

أ- الندب إلى الأذان في أذن المولود، الأمر الذي يكون له أثر نفسي على المولود بعد أن مسّه الشيطان عند خروجه [١].

ب- إماطة الأذى عن رأس الطفل بحلق رأسه في يوم السابع، كما ثبت عند الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه ويحلق رأسه" [٢].

وقد كان أهل الجاهلية يضعون الدم على رأس الطفل يوم سابعه فأمر صلى الله عليه وسلم بإبطال هذه العادة، وأن يوضع على رأس الطفل الخلوق، وهو نوع من أنواع الطيب، والفائدة الصحية في ذلك لأن في إزالة شعر الرأس تقوية له، وفتحاً لمسام الرأس وتقوية كذلك لحاسة السمع والشم والبصر [٣].

---

(١) لحديث: من ولد له مولود، فأذن في أذنه، اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان، (رواه البيهقي) انظر تربة الأولاد في الإسلام، د عبد الله علوان ٧٦/١

(٢) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٧٥٨٧/٤

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، د. عبد الله علوان دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ ٧٨/١



ج- **تحنيك المولود:** معناه مضغ التمرة ودلك حنك المولود بها وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الإصبع، وإدخال الأصبع في فم المولود، ثم تحريكه يميناً وشمالاً بحركة لطيفة، حتى يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة، والحكمة في ذلك تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك، مع الفكين، حتى يتهيأ المولودِ للَقم الثدي، وامتصاص اللبن بشكل قوي وحالة طبيعية [١].

د- **تحصين الأطفال وتعويذهم بالأذكار والرقية الشرعية**. ومن هذا: ما جاء من الأمر بكفّ الصبيان عند المساء، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم، فإن الشيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم" [٢] وعند البخاري: "فإن للجن انتشارا وخطفة" [٣].

---

(١) المصدر السابق ١/٧٨

(٢) رواه مسلم، باب الأمر بتغطية الإناء والسقاء برقم ٢٠١٢

(٣) رواه البخاري، باب خمس من الدواب برقم ٣١٣٨



ج- الأمر بالختان: فبالإضافة إلى أنه من شعائر الإسلام فهو أيضا له آثار صحية أثبتتها بحوث ودراسات وفحوصات طبية بيّنت أن الطفل المختون أحسن صحة من الطفل غير المختون، (فهو يقلل من الإصابة بمرض السرطان الخبيث، ويقلل من سلس البول الليلي، الذي يكثر عند الأطفال إلى جانب أنه يقلل عند الطفل كثرة العبث بأعضائه التناسلية) [١].

د- الرضاعة الطبيعية. فإن الله جعل من حق المولود أن ترضعه أمه حولين كاملين، ومن نافلة القول الإشارة إلى فوائد حليب الأم للطفل فقد أكدت الأبحاث أن الطفل الذي يرضع رضاعة طبيعية يكون أقل عرضة للأمراض حتى وإن كان معرضًا لمرض وراثي مثل: السكر فالرضاعة الطبيعية تؤخر إصابته بنفس المرض، وقد استحدثت اليابان إجراءات تُتَّبعْ في المدارس عند توزيع الأطفال في الفصول حيث خصصت فصولا للأطفال الذين تمت رضاعتهم طبيعياً باعتبار أنهم أكثر ذكاء.! [٢]

فلبن الثدي يتمتع بقيمة غذائية عالية ويسهل هضمه في أمعاء الطفل بالإضافة إلى أنه معقم طبيعياً وهو دائماً في درجة حرارة مناسبة للطفل صيفاً وشتاءً كما أنه يحتوي على ما يسمى علمياً بالأجسام المضادة التي تساهم في زيادة مقاومة الطفل.

---

(١) الزواج الإسلامي السعيد، الأستامبولي ص٢٧،٢٨

(٢) انظر الوسطية في التربية الإسلامية، عبد الله محمد الزهراني، دار طيبة الخضراء، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ. ص١٥٤



إضافة إلى أن للرضاعة أثرًا ايجابيًا على صحة الأم نفسها وذلك من عظيم فضل الله ومنّته [1]

وخلاصة القول: أن صحة الطفل واعتدال مزاجه من الأمور المهمة التي يجب التفطن لها لأن لها دوراً كبيراً في مدى استقرار الأسرة وإضفاء السعادة والسكينة عليها.

(١) انظر مسؤولية الأب المسلم في تربية الطفل، د. عدنان باحارث، دار المجتمع، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ. ص ٢٠٤



الخلاصة

تبين لنا في هذا المبحث أن مقومات سعادة المسلم في أسرته تتحقق بتكوين الأفراد السعداء الصالحين، من زوجة وزوج، وأبناء، وأن مراعاة التوجيهات النبوية والأصول الإسلامية الصحيحة في التربية والتنشئة كفيلة بإذن الله تعالى أن تكون مسلماً سعيداً، يعيش في أكناف أسرة سعيدة ينعم بها في حياته الدنيا، ويستصحب المسلم ذلك النعيم معه في دار القرار كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾[الطور: ٢١].

وهذا زيادة في تكريم الله للمسلم، فإذا ذريته المؤمنة تجتمع إليه في هذا النعيم، زيادة في الرعاية والعناية، ولو كانت أعمالهم أقل من مستوى المتقين، مادامت هذه الذرية مؤمنة، وذلك هو فضل الله على الجميع[1].

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فقد كان ينعم بحياة السعداء مع زوجاته، وبناته، ومن يتصل به في أسرته.

---

(١) انظر في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ٦/٣٣٩٧



المبحث الثاني: المسكن الواسع

يناقش هذا المبحث:

مفهوم السكن الواسع، وارتباطه بسعادة الأسرة، وكيف يؤثر فيها؟

بيان خصائص السكن الذي يؤدي إلى سعادة الأسرة؟

ما التوجيه النبوي في ذلك كله؟

ما ارتباط الجار الصالح بالسكن وكيف يؤثر في سعادة الأسرة؟



إن الركن الثاني من أركان سعادة المسلم الأسرية، والركيزة الثانية التي ورد بها النص النبوي الكريم، هو المسكن الواسع، كما جاء في الحديث (١)، ولقد امتن الله تعالى على عباده بنعمة السكن فقال عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ ﴾[النحل: ٨٠]

(والسكن والطمأنينة في البيوت نعمة لا يقدرها حق قدرها إلا المشردون، الذين لا بيوت لهم ولا سكن ولا طمأنينة، فهكذا يريد الإسلام البيت مكاناً للسكينة النفسية، والاطمئنان الشعوري، هكذا يريده مريحاً تطمئن إليه النفس وتسكن إليه وتأمن، سواء بكفايته المادية، للسكنى والراحة، أو باطمئنان من فيه بعضهم إلى بعض، ويسكن من فيه كل إلى الآخر، فليس البيت مكاناً للنزاع والشقاق والخصام، إنما هو مبيت وسكن وأمن واطمئنان وسلام، ومن ثم يضمن الإسلام للبيت حرمته، ليضمن له أمنه وسلامه واطمئنانه، فلا يدخله داخل إلا بعد استئذان، ولا يقتحمه أحد بغير حق باسم السلطان، ولا يتطلع أحد على من فيه لسبب من الأسباب، ولا يتجسس أحد على أهله في غفلة منه، أو غيبة، فَيُرَوِّع أمنهم، ويخل بالسكن الذي يريده الإسلام للبيوت)(٢)

(١) حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، (أربع من السعادة)

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٤/٢١٨٦



فالسكن نعمة من نعم الله العظيمة التي نغفل – حقاً – عن قدرها وشكرها حق الشكر، بل إن البعض استخدم هذه النعمة فيما يبغض الله تعالى بأن أدخل فيها ما يفسد أخلاق أهلها ودينهم وعقيدتهم، ومن المسلمين من جعل بيته قبراً، ومنهم من جعلها بيتاً للجن والشياطين، ومنهم من تطاول بها فخرا وكبرياءً. وهكذا نلمس في الواقع عظيم الجهل بنعمة السكن والغفلة عن الشكر الحقيقي لهذه النعمة الجليلة.

وتظهر عظمة هذه النعمة بأنها، تستر العورات، وتحمي من هوام الأرض، ومطر السماء، والشعور بالأمن والاطمئنان فيها، وهي حرز من السرّاق والقطّاع، وفيها نقضي معايشنا ونأمن على أعراضنا وأطفالنا وأثاثنا ومتاعنا، إلى غير ذلك من فوائد (السكن) التي لا يشعر بها ولا يجد لذتها إلا من فقدها [1].

وقد وصف الله تعالى البيت بـ(السكن) كما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾[النحل: ٨٠]، تسكن إليه أبدانكم ونفوسكم وتأنس بها، فالسكون فيه معنى الهدوء والراحة والاطمئنان وقرة العين. ففرق بين البيت وبين السكن، فمن البيوت مالا تكون سكناً بل تكون بيوت جحيم وشقاء وفزع وخوف، وحتى يكون بيت الأسرة سكناً (سعيداً) وليكتمل به عقد السعادة الأسرية فإنه لابد أن يتميّز عن غيره، ولا بد أن تكون له خصائص ومواصفات معينة حتى يكون البيت سكناً،

(١) انظر تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، دار عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ٣/٤٨، تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٤/٥٩١



معيناً على السعادة، ولذا سيكون الكلام فيما يلي، حول الدعائم الأساسية التي وجهنا إليها نبينا الكريم في سنته والتي تجعل من بيت المسلم سكناً متسبباً في سعادته، يذوق طعمها في أسرته، وتكتمل له فرحته في جنته، ونعيمه الدائم في آخرته، وذلك من خلال خصائص المسكن التالية:

١. المسكن الواسع:

ثبت في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه – السابق –[١] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أربع من السعادة) وذكر منها: (المسكن الواسع) فالسعة والوسع والتوسع أمر مباح في الشريعة دون مجاوزة الحدّ به.

والوسع في السكن أمر نسبي، بمعنى أنه يختلف باختلاف الناس في نفوسهم وطبائعهم وأنماط حياتهم[٢]. ولهذا كان سكن النبي عليه الصلاة والسلام عبارة عن حجرات، لكل زوجة من زوجاته، وقد كان أسعد السعداء مما يشير إلى أن السعة المقصودة ليست المساحة المكانية فقط، ومع هذا تبقى صفة السعة صفة محمودة تجلب السعادة لأهلها، وبقدر ما يوجد الوسع بقدر ما تزيد السعادة. والنفس مفطورة على حب السعة والتوسع،

---

(١) سبق تخريجه ص١٠٣.

(٢) انظر التربية الترويحية في الإسلام، احمد ابو سمك دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ص١٥٦



فمن جوانب السعادة في المسكن الواسع أنه:

ضرورة تربوية:

ففي المنزل الواسع بإمكان الوالدين أن يحققوا الأمر بالتفريق في المضاجع بين الأبناء - على سبيل المثال — وهذا أمر تربوي وأدب نبوي كريم أرشد إليه النبي عليه الصلاة والسلام [1].

ثم إن المسكن الواسع يساعد على تهذيب وتشكيل نفسية الأطفال تربويا كعامل مساعد، فالطفل ذي الأربع السنوات عادة ما تكثر حركته بالمنزل، فالطفل في هذه المرحلة العمرية بحاجة أن يبدد هذه الطاقة بكثرة الحركة واللعب، وعندما يكون المنزل واسعاً فسيجد الطفل الجو المناسب لتبديد هذه الطاقة، كما أن والديه لن يحتاجا كثيراً إلى كثرة متابعته وتأنيبه على أفعاله، وستختفي التربية السلبية ـ التي تقوم على مبدأ لا تفعل ـ نوعاً ما، وفي المقابل يتغير أسلوب التربية للطفل حين يكون البيت ضيقاً: اجلس لا تكسر، انتبه قد يقع عليك ،!ألم اقل لك لا تلعب؟!!!

(١) الحديث أخرجه أبو داود، في كتاب الصلاة، باب مروا أولادكم بالصلاة، برقم ٤١٨



وهذه توجيهات سلبية قد تؤثر سلباً على تشكيل نفسية الطفل وخاصة في مثل هذه المرحلة من العمر والتي يسميها أصحاب علم نمو النفس (مرحلة التمركز حول الذات) [1]، الأمر الذي يجعل السعة في المسكن سر من أسرار السعادة.

أ- السعة مطلب جمالي للمسكن:

إضافة إلى أن الوسع في المنزل مطلب جمالي، والله جل وتعالى "جميل يحب الجمال"[2]، ويبقى الجمال في السعة رونقا للسعادة حين لا يتعدى فيصل إلى غمط الناس والتفاخر والتعالي عليهم.

ب- استيعاب عدد من الأنشطة:

وتتعد الأنشطة داخل المسكن فهناك ما هو لصيق بالتربية الاسلامية مثل: مصلى البيت، بحيث يخصص مكان للصلاة، ولتلاوة القرآن ومجالس العلم داخل الأسرة[3]، ومع زيادة متطلبات الحياة، وتغير نمط الروتين في الحياة؛ وتوسع دائرة المعارف والأحبة

---

(١) انظر علم النفس التربوي في الإسلام، د. يالجن، د. القاضي، دار علم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ ص ٩٨

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، برقم ١٣١

(٣) يشرع إعداد مصلى البيت، وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض بيوت الصحابة رضوان الله عليهم، كما في قصة عتبان بن مالك رضي الله عنه في الصحيحين انظر: صحيح البخاري (١/ ١٣٤) ومسلم (١/ ٤٥٥).



والأصحاب يجعل المسكن الواسع مطلبا ملحا وعلامة من علامات السعادة، فغرفة للأطفال، وغرفة للضيوف، ومكتبة للكتب، وصالة للطعام، وغرفة للنوم، ومخزن للأطعمة، وهكذا على أنه ينبغي أن نلاحظ أن السعادة الأسرية لا تكتمل بالمسكن الواسع، وإنما تكتمل باجتماع أسباب السعادة في جميع أركان الأسرة الثلاثة (الأفراد - المسكن - المركب)، على تفاوت في اعتبار أن بعضها أهم من بعض، وإلا فكم من شقي في الدنيا وهو يسكن القصور، وكم من سعيد فيها وهو يسكن الدويرة والدور.



٢. المسكن المحصن بالأذكار الشرعية:

الحرز والتحصين من الشيطان الرجيم أحد أسباب السعادة في المسكن، ولما كانت الأسرة هي نواة المجتمع ولبّه وأصل تكوينه حرص الشيطان أشد الحرص على إفساد هذه الأسرة وتفريقها وفك أواصرها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا " قال:" ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته" قال:" فيدنيه منه ويقول نعم أنت" قال: قال " فيلتزمه " [١]

من هنا عُلم أن من أهم أهداف إبليس: إفساد البيت المسلم وتصدّعه وتفرق أفراده [٢]فإن لم يستطع إلى ذلك، سلك سبلاً أخرى في الإغواء وإفساد الأسرة بمحق بركتها وتزيين الرذيلة والفاحشة، ليبقى كيان الأسرة هش البنيان، فيعزل الأسرة عن أن تؤدي دورها الفاعل في المجتمع [٣].

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه، برقم ٥٠٣٢

(٢) انظر البيان في مداخل الشيطان، البلالي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ. ص١٠١

(٣) المصدر السابق ص١٠٢



ولأجل ذلك ندبت التربية الإسلامية إلى مدافعة هذا العدو ومحاربته بالتحصن والحرز منه، فمن ذلك:

أ- قراءة سورة البقرة في البيت:

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة" [١] فسورة البقرة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال معاوية بلغني أن البطلة السحرة [٢]

وإن من أشد الأزمات التي تعاني منها بيوت المسلمين اليوم معاناة السحرة وما يقومون به من إفساد البيوت المسلمة، ومن هنا كان هذا التوجيه النبوي الكريم حماية وسياجاً وحرصاً على سعادة البيت المسلم في ظل الوحي.

ب- الصلاة في البيت:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا "[٣].

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته برقم ١٣٠٠

(٢) رواه مسلم في صحيحه، ٨٠٤، باب فضائل قراءة القرآن وسور ة البقرة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في البيت، برقم ٧٧٧



والمقصود تعاهد النوافل بأدائها في البيت، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم عشر ركعات ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب في بيته وركعتين بعد العشاء في بيته وركعتين قبل صلاة الصبح كانت ساعة لا يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فيها حدثتني حفصة أنه كان إذا أذن المؤذن وطلع الفجر صلى ركعتين [١].

ومن مثل ذلك: ركعات الضحى، وقيام الليل. وغيرها.

وصلاة النوافل بالبيت لها من الفوائد الجمّة سواء على البيت وعلى أفراده: فهي حصن وحرز للبيت من الشيطان الرجيم، كما أن من فوائدها تربية أهل البيت على إقامة الصلاة والمحافظة عليها.

ت- إخراج كل ما يمنع دخول الملائكة من كلب أو صورة:

فعن أبي طلحة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة" [٢].

وبقدر ما يخلو البيت من المنكرات والملاهي المحرمة بقدر ما يبعد عنها الشيطان ولا يكون له فيها من حظ أو نصيب، واليوم اشتد البلاء بدخول أطباق الفساد

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد، باب الركعتين قبل الظهر برقم ١١٨١

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الطب، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، برقم ٣/٣١٤٤



والفجور من غير حسيب ولا رقيب، الأمر الذي يقطف المجتمع اليوم جناه حنظلاً مرّاً، فتأخذ المسلم الدهشة عندما يصعد على جبل يشرف على بيوت المسلمين، أو يكون في طائرة فينظر من نافذتها، فيرى تلك الأطباق التي تغذي أهل البيوت بالفساد، والرذيلة، صباح مساء – إلا من رحم الله – وكأن الشيطان قد استقال من مهنته، ووكل أتباعه ببث الشر والفساد ، وأخذ هو في الإشراف على حالات الجرائم الناتجة، والفواحش، وتشتت الأسر، وفقدان الغيرة، وضياع القيم الناتجة عن برامجه، وخططه [1]. هذا وإن هناك محاولات جادة لمزاحمة الشيطان وأعوانه في التأثير على الناس من خلال هذه (الأطباق) وذلك ببث البرامج المفيدة بالعلم النافع والأحاديث الطيبة، واللقاءات الهادفة، وهي في زيادة وانتشار ولله الحمد.

ث- الذكر عند دخول المنزل:

فالشيطان حريص على أن يشارك أهل البيت في معاشهم ليمحق البركة وتقع الفتنة فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال: الشيطان لا

(١) عبد الحميد البلالي، مداخل الشيطان ص٥١



مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال: الشيطان أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء" [1].

ج- قفل الأبواب عند المساء:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئا وأطفئوا مصابيحكم" [2].

٣. الجار الصالح:

من خصائص المسكن، وجود الجوار الصالح، وهو حقا عامل مهم في إيجاد البيت السعيد، كما جاء في الحديث أربع من السعادة ومنها ".. الجار الصالح" [3]. وصلاح الجار أمر ليس بيد أي أحد، لكن بمقدور الإنسان أن يختار الجار الصالح بالسؤال عن الجار قبل السكنى.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، برقم كتاب الأشربة ٢٠١٨ باب آداب الطعام والشراب وأحكامها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأشربة برقم باب تغطية الإناء ٥٣٠٠

(٣) سبق تخريجه ص١٠٣ الفصل الأول



ولأهمية الجار الصالح فقد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسن اختيار الجار، جاء في بعض الآثار "شؤم الدار سوء الجار" [1]وجاء عند ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول "اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادي يتحول" [2]. الأمر الذي يدعونا إلى حسن الجوار وحسن اختيار الجوار.

ولنتأمل هذه القصة العجيبة لنرى كيف أن للجار أثرا على جاره في سلوكه أو سلوك زوجته وأبناءه.

أخرج مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ".. كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، قال وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي فتغضبت يوما على امرأتي، فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني! فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!فقالت: نعم! فقلت: أتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟! قالت: نعم! قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأ من إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك

---

(١) انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعجلوني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ٢/ ١٧

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه برقم ٣/ ١٠٣٣.



أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يريد عائشة.." [1].

فتأمل كيف أن الزوجة تأثرت بسلوك جاراتها حتى زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يجعل الجار الصالح عاملًا مهما من عوامل السعادة في البيت والأسرة.

وتبرز جوانب السعادة الأسرية في جانب الجار الصالح فيما يلي:

أ- أن الجار الصالح يحفظ العورة ويستر العيبة.

فالبيوت أسرار، والجار من أقرب الناس للأسرة، بل ربما قد يعيش أحداث جاره سرورا وفرحاً من خلال علاقته بجاره أو علاقة الزوجة بزوجة الجار أو علاقة الأبناء بعضهم ببعض [2].

فهذا ولا شك يجعل من الأسرة والجار بيتاً واحداً في معرفة ما يدور فيه، سيما أن كثيرا من النساء اعتدن عند الزيارات أن تتحدث كل امرأة عن واقع بيتها سلباً وإيجاباً، ولا أدل على ذلك من قصة حديث أم زرع الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه [3]، وفيه خبر اجتماع عدد من النسوة وحديث كل منهن للأخريات، عن

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب الإيلاء وتخيير المرأة، برقم ٢٧٠٧

(٢) الهداية الربانية إلى الضوابط الأمنية، أنس كرزون، ص١٥٩

(٣) البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة، برقم ٤٧٩٠



واقع زوجها معها، فمنهن مادحة وذامة، ومنهن بين ذلك، فكل واحدة منهن تذكر شأنها وزوجها، لجارتها فحين تكون الجارة صالحة فإنها ستحفظ الغيبة وتستر العيبة.

ب- أن صلاح الجار يعين على نشوء الأبناء في بيئة صالحة:

فإن الأطفال يتأثرون بغيرهم ممن هم في سنّهم ومرحلتهم، والأمر يتضح بالضد حين يكون الجار جار سوء وله أبناء سوء فانظر كيف يظهر أثر سوءهم في أخلاق الأبناء وسلوكهم. فإن الأطفال مطبوع فيهم حب التقليد لغيرهم[١].

ومن جهة أخرى فإنه من عادة الأطفال فيما بينهم الشجار والخصومة، فحين يكون الجار جار سوء فإنه قد يحدث النزاع والخصومة على أتفه الأسباب وأحقرها.

ت- الجار الصالح يعين على نوائب الدهر:

فقد تمر الأسرة بفاقة أو حاجة فيكون الجار خير معين بعد الله، وقد جاء في الحديث الصحيح الترغيب في هذا الأمر: قال صلى الله عليه وسلم "لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة" [٢].

---

(١) انظر تربية الأطفال في فترة الحضانة، متولي محمد كتاب الرائد الطبعة الأولى ١٩٨٩هـ ص٥٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب باب لا تحقرن جارة برقم ٥٦٧١



ث- الجار الصالح يعين على طلب العلم والدعوة:

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "..كان لي جار من الأنصار فكنا نتناوب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وأنزل يوما فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك.. " [١].

وهكذا يتبن لنا دور الجار الصالح في تكميل السعادة واستقرارها على البيت المسلم. وفي سبيل رعاية هذا السعادة وحمايتها فقد ورد عن نبينا التحذير من كل ما من شأنه التأثير على الجار، وذلك كما يلي:

١. النهي عن إيذاء الجار:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره" [٢]. وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال "والله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه" [٣]

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الطلاق برقم ١٤٧٩

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب برقم ٥/٥٦٧٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه برقم ٤٦.



٢. الأمر بالتوسيع على الجيران:

فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا طبخت قدرا فكثر مرقتها فإنه أوسع للأهل والجيران" [١]

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، برقم ٥١٣.



الخلاصة

والمقصود في هذا المبحث بيان أنه من تمام السعادة التي يسعد بها المسلم، في أسرته، والتي جاءت بها التوجيهات النبوية: المسكن الواسع الذي تكتنفه، نسمات الإيمان، ويتربى بين جدرانه الأبناء السعداء، وذلك المسكن بخصائصه العامة من السعة، والتحصين، والسعادة بالجوار الصالح، المعين على الخير، المؤدي لحقوق الجوار. عندها يشعر المسلم بالسعادة في متطلباته ومتطلبات أسرته من حيث التكامل المعيشي والاجتماعي، فيستقر، ويهنأ.

ونجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسكن أزواجه، في الحجرات، وكان لكل زوجة حجرة خاصة بها، وورد ذكر الحجرات في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾[الحجرات: ٤]، كما جاء ذكرها في السنة النبوية، وذلك كما روت أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ رسول الله ليلة فزعاً يقول: سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن، من يوقظ صواحب الحجرات؟ يقصد بذلك أزواجه، لكي يصلين رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة [١]

لكن هذه الحجرات قد تلألأت في جنباتها أنوار الوحي صباحاً ومساءً، وحطت على تربتها المباركة أجنحة جبرائيل، والملائكة الكرام عليهم السلام، آناء الليل وأطراف

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه برقم ٧٠٦٩



النهار، هذه الحجرات شهدت قيام النبي من الليل ومناجاته حتى تفطرت قدماه وشهدت خلوته بالليل مع ربه، ومناجاته لربه ودعاءه، وشهدت حبه وأشواقه وتضرعه وبكائه، وشهدت حولها حلق العلم والقرآن، ومجالس الذكر ونفحات الإيمان، وشهدت استقباله لأصحابه رجالاً ونساءً، وتذكيرهم ووعظهم، ومجالسته إياهم ومؤانستهم، وحله لمشكلاتهم في أدق شئون حياتهم، وشهدت مجالس مشاورته أصحابه، كما شهدت استقبال الوفود ودعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، هذه الحجرات شهدت حياة النبي الخاصة، الزاهدة المتواضعة، مع نسائه، مع خدمه، كانت مدرسة تربوية، تخرجت فيها أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، على يد المصطفى صلى الله عليه وسلم، بعد أن عايشنه في كل شأن، وتلقين عنه في كل جانب من جوانب الحياة، ونقلن ذلك للأمة بكل وعي وأمانة، ودقة وحصافة [1].

(١) انظر، د. عبد المجيد البيانوني، نبي الرحمة، الطبعة الأولى ص٢١٢



المبحث الثالث: المركب الهنيء

يناقش هذا المبحث:

الركن الثالث من أركان سعادة الأسرة وهو المركب، من حيث خصائص المركب التي تعطيه معنى الهناء، ويؤثر بالتالي في سعادة الأسرة.

كيف كان مركب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟



الركيزة الثالثة من ركائز سعادة المسلم الأسرية، والركن الثالث هو وسيلة التنقل، والسفر، والتجول من مكان لآخر، ولا عجب في ذلك أن يكون المركب (حيواناً، أو سيارة، أو طائرة، أو سفينة)، من أسباب السعادة، فقد عده نبي الهدى عليه الصلاة والسلام منها، بل وقبل ذلك ذكر المولى عز وجل في كتابه الكريم، امتنانه على عباده بهذه النعمة، وذلك بقوله عز وجل: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾[النحل:٨]، وقال سبحانه وتعالى منبهاً عباده إلى ذكره عند ركوبها: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾[الزخرف:١٢-١٤] [١]

وقد عد النبي عليه الصلاة والسلام من السعادة المركب الهنيء، وللمركب حتى يكون سبباً من أسباب السعادة، خصائص ومميزات، تجعله كذلك، تظهر من خلال تأمل النصوص الشرعية، وهي على النحو التالي:

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٧/٢٢٠



١. الهنيء:

الهنيء: هو الوصف الذي ذكر في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (أربع من السعادة: المركب الهنيء)[١].

و(الهنيء) صفة تطلق على الصلاح والعطاء واليسر والسهولة. وهي صفة من صفات السعادة ومداخلها، فـ (الهنيء) هو الذي يأتي بلا مشقة ولا تعب، ويهنأ به الإنسان، فهو مركب حصل بغير مشقة في قيمته وفي البحث عنه، ولم يكن باب مشقة في حفظه والعناية به، والمقصود مشقة مرهقة أو مهلكة. فكم تجد اليوم من يبذل نفيس ماله وحرّ رزقه في مركب فارهٍ مجهّز بأفضل التقنيات رغبة في شهرة أو أمر آخر، فهذا لم يهنأ به، لأنه قد بذل جهداً كبيراً في الحصول عليه، ولأنه كذلك يكون قلقاً أبداً في المحافظة عليه والاهتمام به، حتى أنه ربما يشغل باله وتفكيره، فهذه مشقة في حصوله، ثم أيضاً مشقة في حفظه، والعناية به فسبحان الله كيف أن من الناس من يصيبه العناء والتعب والشقاء في مركب يبذل فيه نفسه ونفيسه، ثم هو يشقى به ولا يسعد، ومن هنا فرفاهية المركب وفخامته ونوعه ليست هي المقصودة بالسعادة والهناء، بل ربما كان صاحب هذا المركب من أشقى الناس بمركبه. فقد يحجز صاحبه من أن ينفع به وأن يعطي به العطاء الكثير خوفاً من تلفه أو نحو ذلك.

فكان المركب الهنيء هو المركب الذي يأتي بلا مشقة في حصوله، ولا مشقة في حفظه، وانشغال القلب به، ثم هو مركب (هنيء) يحصل به العطاء الكثير لصاحبه ولغيره.

---

(١) سبق تخريجه ص١٠٣



٢. المتواضع:

لما كان المركب مما يُتخذ للتجمل كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ ﴾[النحل:٦] وقال: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾[النحل:٨]

فإنه صار من المتعين على المرء أن يعلم أن هذه نعمة من الله وفضل. وواجبه فيها الشكر لا الكبر، وكذلك النظر إلى عظيم منّة الله تعالى على عباده بهذه النعمة في قوله: ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤ ﴾[الزخرف:١٢-١٤]

فتأمل كيف أن الله سبحانه وتعالى جعل المركب مسخّرا للعبد لا أن العبد مسخر له، ولذلك تعجب أشد العجب ممن تجده سخّر نفسه للمركب عناية وتلميعًا وقد يكون بلغ الشقاء في سبيل ذلك.

وتأمل أيضا قوله ﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤ ﴾[الزخرف:١٤] فيه تذكير وتنبيه إلى أن العبد منقلب إلى الله وراجع إليه فعلام الكبر والبطر؟!

وحين كان جمال المركب مظنة التفاخر والتكبر، فقد نهى صلى الله عليه وسلم من اتخاذ مركب الشهرة. وكما جاء في الأثر (من ركب مركبا ذا شهرة أعرض الله عنه وإن



كان عليه كريمًا)[1]، وأي شقاء يكون للعبد حين يعرض الرب الرحيم الكريم عنه؟! وكم هي سعادة المرء حين يكون الله في معيته.

والإنسان يحتاج إلى معية الله تعالى وحفظه، فإننا اليوم نعيش ثورة حضارية جعلت المركب اليوم يختلف عما كان عليه من قبل؛ فقد صارت مراكب اليوم مراكب سريعة، وبأشكال وموديلات، ومميزات تختلف عما يكون الحال في بعير أو فرس، فإن المسافة تقضى اليوم من مدينة إلى أخرى بأسرع وقت، وبأقل تكاليف من المشقة والتعب، ولما كانت هذه الوسائل الحديثة فيها مظنة الهلاك في حادث أو نحوه فإن العبد هنا يحتاج أن يتواضع في مركبه ليكون الله في معيته. هذا جانب من جوانب السعادة في باب التواضع في المركب.

وفي سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما ركب مرة (برذوناً) [2]فأنكر نفسه فنزل منه وقال: إنما يركب هذا من لا خلاق له!! وذلك لما أحس في نفسه من التغيير ورؤية النفس.

---

(١) أخرجه أبو بكر الروياني في مسنده برقم ١٢٠٩/٢. والحديث في سنده مقال انظر الكامل لابن عدي ١٨١٣/٥

(٢) البرذون نوع من أنواع الخيل، والأثر في كتاب تاريخ الخلفاء، للسيوطي، دار الفكر ص١٠١



٣. حصول المنفعة به:

يقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[غافر:٧٩-٨٠]

فإن من غايات المركب أن تحصل به المنفعة من حمل الأثقال والتنقل كما قال الله تعالى: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل:٧-٨]

ومن أعظم المنافع التي تُحصّل بما سخره الله تعالى لعبده من المركب استخدامه في الطاعة والمعروف، من إغاثة ملهوف، أو المشي به في سبيل الله، دعوة أو طلب علم، أو ضرباً في الأسواق، ونحو ذلك.

فهذا من فضل الله في حصول المنفعة من المركب تعطي البيت سعادة ورخاء من جهة حصول منافع أهل البيت بهذا المركب، وخصوصا في مثل زماننا الذي صار المركب فيه وسيلة من وسائل إدخال السرور والسعادة على البيت المسلم، سيما والحاجة إليه ملحّة بسبب تباعد الأوطان، وتقارب الزمان وتعدد الحاجيات واختلافها، فبه يسافرون في أمن ورخاء، وبه يتنقلون من مكان لآخر في يسر وستر، وبه يُنقذ مريضا - بإذن الله — وتوصل به الأرحام. أما حين يكون المركب عاطلا متعطلا لا تحصل به منفعة ولا تتحقق به مصلحة فسيكون حينها مدخل تعب وضنك على أهل بيت إذا مركبهم لا تحصل به منفعة والواقع يشهد بذلك.



الخلاصة

اتضح لنا من خلال مباحث هذا الفصل أنه حتى تكتمل سعادة المسلم لابد من تحقق السعادة الأسرية، للمسلم داخل أسرته، وذلك لأن مجمل ما ورد في السنة النبوية حول السعادة والذي يحدد إطارها العام الذي لا تخرج عنه، هو ما يتعلق بالأسرة (الزوجة، الزوج، الأولاد، المسكن، الجار، المركب)، وذلك والله أعلم لأن هذه الأمور هي ملاصقة للإنسان في أكثر حياته، فالزوجة والأولاد معه ليلاً ونهاراً، والمسكن هو مقره الذي يحيا فيه ويعيش ويسكن ويرتاح، ومركبه هو وسيلة تنقله إذا خرج من مسكنه، والجار ملاصق له في جميع الظروف، والأحوال فعندما تتحقق للمسلم عندها تكتمل سعادته، وبمقدار نقصانها تنقص.

وقد ضرب لنا رسولنا الكريم أروع الأمثلة وأعظم النماذج في ذلك كله، فقد كن زوجاته (أمهات المؤمنين) خير النساء، صلاحاً وعشرة وأخلاقاً، وقد كانت رغبتهم فيما عند الله والدار الآخرة أعظم مما في الدنيا جميعها، وظهر ذلك عند تخييرهن بين إرادة الحياة الدنيا وزينتها وبين الدار الآخرة لما طلبن النفقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترن ما أعده الله لهن من الأجر العظيم، كما قال الله تعالى:

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ ﴾[الأحزاب:٣٢]

وكذلك ما كان يتمتع به رسول الله وأزواجه من مسكن متواضع - في الحجرات المباركة - كانت مليئة بذكر الله والصلاة، والعبادة، وقد كانت بيوت النبي صلى الله



عليه وسلم نموذجًا للبيت الإسلامي، وعلى الرغم من صغر حجمها، وتواضع بنائها، فإنها امتلأت بالسعادة والهناء، وظلت المثل الأعلى لبيوت الصحابة -رضوان الله عليهم- ولكل من أراد أن يقيم لنفسه بيتًا من المسلمين بعد ذلك.

ولقد قامت بيوت النبي صلى الله عليه وسلم على طاعة الله ورضاه وكانت بيوته صلى الله عليه وسلم متواضعة على قدر حاجته، بسيطة على قدر معيشته، إلا أنها ملئت سعادة، وتمثل فيها رضا أهلها بقَدر الله ورزقه، وإيمانهم بقوله صلى الله عليه وسلم: (من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا) (١)

وارتبطت بيوته صلى الله عليه وسلم بالعبادة والطاعة لله، وتمثل فيها التواضع والبساطة والزهد في متاع الحياة الدنيا، فقد كانت بيوته صلى الله عليه وسلم كلها حول المسجد، بعضها من جريد مُغَطى بالطين، وبعضها من حجارة مرصوصة بعضها فوق بعض، مُسقَّفة بجريد النخل.

وكان بيت أم المؤمنين عائشة -أحب أمهات المؤمنين إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد خديجة- حجرة واحدة من اللَّبِن (الطوب النيِّئ) والطين، مُلحَقًا بها حجرة من جريد مستورة بمسوح الشعر (جمع مسح: وهو كساء من الشعر)، وكان بمصراع واحد من خشب، وسقفه منخفض كسائر بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، وكان أثاثه بسيطًا: سرير من خشبات مشدودة بحبال من ليف، عليه وسادة من جلد حشوها ليف، وقربة للماء، وآنية من فخار لطعامه ووضوئه صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه الترمذي في سننه وقال هذا حديث حسن غريب، كتاب الزهد، برقم ٢٣٤٦وحسنه الألباني



وارتسمت البساطة والقناعة -أيضًا- في بيوت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان جهاز ابنته فاطمة وهي تزف إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- خميلة (ثوب من قطيفة)، ووسادة من أدم (جلد) حشوها ليف، ورحا، وسقاء، وجرتين. ذلك هو جهاز سيدة نساء أهل الجنة وكريمة سيد الأنبياء، ومن هذا نعلم أن بيوت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانت نموذجًا للبيت الإسلامي.

وإن كانت حال بيوت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما ذكرنا، فلا يعني هذا أن الإسلام يحول بين أن ينعم الإنسان ببيت رحب جميل، بل يرى الإسلام أن هذا رزقاً من الله للإنسان ونعمةً منه وفضل، فالله تعالى يقول: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾[الأعراف:٣٢] ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء"، وعلى الإنسان أن يحسن استغلال هذا النعيم؛ لأنه سيُسأل عنه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر:٨]

والأسرة المسلمة شأنها شأن غيرها من البشر، تميل إلى أن يكون بيتها من خير البيوت سعة وجمالاً، ومملوءًا بالنعم والخيرات، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٤].



والأسرة المسلمة تعلم أن السعادة الحقيقية في أن تجعل من بيتها -صغر أو كبر- جنة عامرة بالإيمان، هانئة بالقناعة، ترفرف عليها الطمأنينة والسكينة، ويتنسَّم أفرادها الأدب الرفيع والسلوك القويم، وهي في كل أحوالها تدرك أن ما هي فيه نعمة من نعم الله التي تستوجب الشكر، فشكر النعمة ينميها ويزكيها ويزيدها، قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[إبراهيم:٧]

وأيضاً يظهر ذلك النموذج السعيد في التعامل مع الجار بالاحترام والتقدير والإحسان، وإن أعظم إحسان رسول الله إلى جيرانه من صحابته وأعظم مننه عليهم أن أخرجهم من الظلمات إلى النور وهداهم إلى الصراط المستقيم.

وأما المركب الهنيء الذي كان يتمتع به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أشهر ما ذكر هو ناقته القصواء، حيث نجد في سيرته عليه الصلاة والسلام أنه اتخذ (القصواء) مركباً وهي ناقته المفضلة، وذلك لقوتها وسرعتها وطبعها الأصيل فقد كانت راحلته في هجرته، وهي التي حددت مكان مسجده في المدينة، وكانت مطيته في صلح الحديبية، وعندما دخل مكة فاتحاً، وطاف عليها صلوات الله وسلامه عليه ووقف بها حجته، وعند المشعر الحرام.



الخاتمة

١. الميثاق الأخلاقي للتعامل الأسري.

٢. ملخص البحث.

٣. التوصيات.

٤. المراجع.

٥. الفهرسة.



الميثاق الأخلاقي للتعامل الأسري

من خلال مباحث الفصول السابقة والتي تناولت التنشئة الأسرية للنبي عليه الصلاة والسلام، والأسرة الشخصية الأولى له، وكذلك حياته الأسرية مع أهله زوجاته وبناته وأسباطه، وتعامله مع أصهاره وأرحامه، وخدمه، وجيرانه، وكذلك من خلال توجيهاته الكريمة في بناء الأسرة السعيدة، إضافة إلى توجيهات الآيات الكريمة التي تناولت موضوع الأسرة، نستطيع في ختام هذا البحث أن نكتب ميثاقاً للتعامل الأسري، أو الدستور الأخلاقي للأسرة الناجحة السعيدة، المستنبط من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعامله الأسري كما ظهر لنا من خلال هذا البحث، والذي يتضمن الضوابط العامة التي تحدد الأدوار والمسؤوليات وهو ما يعرف بالحقوق والواجبات المتبادلة بين أطراف الأسرة، والتي يمكن أن تشمل نوعي الأسر: الأسرة النووية المكونة من زوج وزوجة وأولاد أو الأسرة الممتدة والمكونة من الأب والأم والأولاد والأحفاد والأسباط، والإخوة والأخوات والأعمام و العمات وأولادهم والأخوال والخالات، وأولادهم والأصهار، وذلك على النحو التالي[1]:

(١) إضافة لمباحث البحث، فقد استعان الباحث بميثاق الأسرة في الإسلام، من إعداد اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل ٢٠٠٣-٢٠٠٩. انظر الموقع الرسمي على الشبكة العنكبوتية



المادة الأولى

(الربانية في التعامل الأخلاقي هي المنهج الذي تسير وفقه الأسرة المسلمة)

إن المنهج الذي يجب أن تسير عليه الأسرة هو منهج الله الذي أراد لعباده أن يسيروا عليه حتى يبلغوا غايتهم، وهو عبادته تبارك وتعالى، والسير وفق تعاليم نظام الإسلام الذي شرعه لهم في الأسرة والحياة الاجتماعية، وأن أي طريق آخر لا يمكن أن يكون صحيحاً، ولا يؤدي إلى استقامة ولا إلى صلاح أبداً فالذي خلق الخلق. سبحانه وتعالى هو أعلم بما يصلحهم في جميع شؤونهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك: ١٤]

وإن التطبيق العملي لنجاح الأسرة وفق هذا المنهج الرباني، هو في سيرة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث ظهر لنا خلال البحث مجالات النجاح الأسري، في سيرته مع جميع ما يتناوله مفهوم الأسرة وما يلحق بهم، من أزواج وأرحام وأصهار.

وأن نبي الله صلى الله عليه وسلم ينطلق من عبوديته لربه في تلك التعاملات جميعها. وكيف لا يكون ذلك وهو أول من يستجيب لما أمره به ربه تبارك وتعالى، إذ هو أعرف الناس بربه وأعبد الناس وأخشاهم وأتقاهم، وقد تكرر وصفه بمقام العبودية في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾[الجن: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ



﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[الفرقان:١] ففي كثير من مواقف الحياة الأسرية يظهر استشعار عبودية الله وطاعته تعالى، وابتغاء أجره، فنجده عليه الصلاة والسلام يقول لأحد أصحابه: حتى اللقمة تضعها في فِيّ امرأتك يكتب لك بها اجراً، بل حتى لحظات الاستمتاع الغريزي، بين عليه الصلاة والسلام شمول العبادة لها، كما كان يقول: وفي بضع أحدكم صدقة، هذا فضلاً عن الجوانب الحياتية الأخرى مثل الأجور المرتبة على بر الوالدين، وتربية الأولاد، وتوجيههم، وحسن معاملة الزوجة ونصحها، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران وربط ذلك كله بالإيمان وبكماله، وبالمنازل العالية في الجنة .

فالتعامل الأخلاقي إذاً مصدره هو أمر الله وشرعه، ومقصده هو ثوابه ورضوانه تبارك وتعالى، فبهذا البناء الأساسي في تصور المسلم لربانية التعامل الأخلاقي وأن هذا هو مبعثه وموجهه، ومصدره الرئيس، يسهل عليه الامتثال والإتباع، والانقياد، عندما يؤمر بتحسين الأخلاق مع زوجة أو ولد أو خادم أو جار. ويزداد الأمر حسناً عندما يعلم أن هذا هو منهج حبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم، الذي يفديه بماله وولده والناس أجمعين.



المادة الثانية

للوالدين، الأم ثم الأب الأولوية في التعامل الأخلاقي، في الأسرة المسلمة

فللوالدين على أولادهما الحقوق التالية:

١- صحبتهما بالمعروف ولو كانا على غير دينه أو مذهبه.

٢- الإحسان إليهما وإكرامهما والقيام بحقوقهما ورعاية شيخوختهما.

٣- ألا يرفع صوته عليهما، ولا يَنْهَرهما ولا يؤذيهما أدنى إيذاء ولو بالإشارة.

٤- طاعتهما فيما يأمران به، ولو خالف هواه ورغباته، ما لم يكن معصية لله.

٥- رعاية حقوقهما بعد وفاتهما بالدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما ووصيتهما وإكرام صديقهما وصلة رحمهما.



المادة الثالثة

للأولاد على والديهم حقوق قررتها الشريعة وبينتها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة، يجب على الوالدين القيام بها تجاه أولادهم

وهذه الحقوق على الإجمال ما يلي:

١. الاختيار الزوجي الصحيح لكل من الأبوين.

٢. حقوق متعلقة بآداب الجماع بأن يذكر اسم الله عنده ويقول الذكر الوارد، وكذلك أحكام المولود من التحنيك، والآذان والإقامة، والعقيقة، والرضاع، واختيار الاسم الحسن، وحلق الشعر والختان.

٣. الحقوق المتعلقة بالتربية الدينية، وبيان الحلال والحرام، والتعويد على العبادات ومحبة الله ورسوله وأمرهم بالصلاة، وتعليم القرآن وتحفيظ ما تيسر منه. ودراسة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتعليمه العلم النافع.

٤. التربية المتكاملة، صحياً وجسمياً وخلقياً ونفسياً واجتماعياً.

٥. النفقة عليهم فيما يسد حاجتهم.



المادة الرابعة

العلاقة الزوجية بين الزوج والزوجة علاقة تبادلية، لكل من الزوجين حقوق متبادلة وواجبات مشتركة، وللزوج حقوق خاصة، كما أن للزوجة حقوق خاصة

فالواجبات المشتركة تشمل ما يلي:

١- أن تكون علاقتهما قائمة على معاني الإخلاص والثقة والتناصح والتعاون. والإخلاص للآخر والثقة به من مقتضيات العشرة بالمعروف، وهذه العشرة واجبة كما أمر الله تعالى، ويشمل ذلك الثقة والتناصح عمومًا، والتعاون على القيام بمسئوليات الحياة الزوجية ورعاية الأطفال وتربيتهم، في كل الظروف والأحوال.

٢- على كل من الزوجين فهْم طبيعة الآخر، والوعي بالفوارق الفطرية والطبيعية والنفسية لكلّ منهما، وبوجود قواسم وسمات مشتركة بينهما.

٣- الاهتمام بعوامل التوافق والإيجابيات في شخصية الطرف الآخر، وحصر أسباب الاختلاف، والبحث لها عن حلول وسط يتراضيان عليها، والبعد عن: نزعات العناد، والإثارة، والإفراط في الغيرة، وحبّ التغلب على الآخر.

٤- على كل من الزوجين واجب احترام الآخر وتقدير متاعبه الحياتية، ومراعاة مكانته في الأسرة، وإعانته على تحمل أعبائه وعلى سائر شئونه، واحترام قرابته، واعتبارهم في مكانة قرابته من النسب.



٥- مراعاة مشاعر الآخر وتجنب كل ما يجرح كرامته وكرامة أسرته، سواء في سرٍّ أو على ملأ من الناس وخاصة أمام أحد من أهله أو أهلها.

٦- أن يحثَّ كلٌّ منهما الآخر على التزام طاعة الله والتحلّي بمكارم الأخلاق، ومراقبة الله وخشيته في السر والعلن، وأن يأخذه بأداء حقوق الله كما يأخذه بحقوقه أو أشد، وأن يكون كلٌّ منهما قدوة للآخر، وللأبناء في هذا الشأن.

٧- أن يُعلِّم كلٌّ منهما الآخر، أو يُيَسِّرَ له تَعَلُّم كل ما يحتاج إليه في إحسان حياته الدنيوية والأخروية.

٨- التزام كل منهما بالنظام والنظافة والتطهر في كل شئونهما، ليس فقط نظافة المكان والجسم والثياب، ولكن من باب أولى نظافة النفس وطهارتها ونظافة القلب واليد واللسان من جميع المحرمات والآثام.

٩- الحرص على الالتزام بالحلال الطيب، والكسب الحلال وتجنب الحرام مهما كانت مغرياته، والاقتصاد والاعتدال في الإنفاق دون إسراف ولا تقتير، والبعد عن المظاهر والشكليات والتقليد الأعمى للآخرين.

١٠- حسن الصلة بالناس وخاصة الجيران والأقارب، والتزام الآداب الشرعية في ذلك.



وأما الحقوق الخاصّة للزوجة على زوجها فهي على النحو التالي:

١- الالتزام بتكاليف الزواج، من مهر وإعداد وتأثيث لبيت الزوجية.

٢- المعاملة بالمعروف والإحسان، وحسن المعاشرة بكافة صورها وأشكالها.

٣- النفقة عليها، وتشمل المطعم المشرب والملبس والمسكن، ومعالجة الأمراض.

٤- القيام بمسؤولية رعاية الزوجة وحمايتها.

وأما حقوق الزوج الخاصة على زوجته فهي على النحو التالي:

١- الطاعة في المعروف، والمعروف كل أمر مباح شرعًا ولا يصيبها منه ضرر أو إيذاء.

٢- على الزوجة أن تكون صالحة قانتة متأدبة بآداب الدين، ملتزمة باللباس الشرعي، والحشمة والوقار والجدّ في زينتها وكلّ أعمالها.

٣- من حقّ الزوج مَنع زوجته من كل ما يمكن أن يؤدي إلى ارتكاب المنكرات والرذائل وارتياد أماكن اللهو العابث، وفي غير هذه الأماكن يتم التفاهم بينهما وفق الضوابط الشرعية.

٤- على الزوجة القيام بشئون بيت الزوجية والأولاد على الوجه الملائم لأمثالهما، وهو واجب عليها ديانةً، وبحكم روابط المودة والرحمة والتعاون على ما فيه سعادتهما.



المادة الخامسة

عند حدوث الخلاف والنزاع بين الزوجين في بعض شؤون الحياة، ينبغي للزوج اقتفاء أثر النبي عليه الصلاة والسلام، وإتباع الأساليب النبوية في معالجة المشكلات الزوجية، متحلياً في كل ذلك بالصبر والحكمة

وكما مر معنا في مباحث هذا البحث، فإن النبي عليه الصلاة والسلام قد بلغ مبلغاً عظيماً في تعامله الإيجابي، سواء مع زوجاته أو مع غيرهم، ولكن عند التعامل مع الزوجات فإن هناك أساليب وطرائق متعددة، قد اتبعها خاصة عند وجود الخلاف والمنازعات، وهذه الأساليب هي كما يلي:

١- أسلوب الابتسامة.
٢- أسلوب التغاضي.
٣- أسلوب الحوار والإقناع.
٤- أسلوب العظة والتذكير.
٥- أسلوب العتاب.
٦- أسلوب التروي والتثبت والتحقيق قبل إصدار الأحكام.
٧- أسلوب القضاء العادل.
٨- أسلوب التأديب بالدفع.
٩- أسلوب الهجر.
١٠- أسلوب التخيير والتشاور.
١١- أسلوب الطلاق [1].

---

(١) ينظر كتاب الأساليب النبوية في معالجة المشاكل الزوجية، د. عبد السميع الأنيس



المادة السادسة

وجوب الإحسان في التعامل مع جميع أولي القربى، حسب الأقرب فالأقرب، ويشمل ذلك الإخوة، والأخوات، وأولادهم، والأعمام، وأولادهم، العمات وأولادهم، والأخوال والخالات وأولادهم

وأولوا القربى هم الرحم التي أمر الله بصلتها، في كتابه الكريم ورتب على وصلها الخير العظيم، كما توعد على قطعها بالعذاب الأليم.

وصلة الأرحام هي إسداء البر والخير والمعروف وأداء الحقوق والواجبات والمندوبات لذوي القربى قبل غيرهم من سائر الناس.

ويتنوع حكم هذه الصلة بين الفرض والواجب والمندوب بحسب قوة القرابة أو بعدها، الأقرب فالأقرب حتى ترتفع إلى درجة الإيثار للوالدين لأنهما سبب الوجود، وتتقدم الأم على الأب في سائر النصوص والتعاليم الإسلامية.

وتحصل صلة الأرحام بجميع أنواع الإحسان مما تتحقق به الصلة ومنها: الزيارة، والمعاونة، وقضاء الحوائج، والسلام، وكذلك بذل المال للأقارب، فإنه يعتبر صلة لهم، والغني لا تحصل صلته بالزيارة لقريبه المحتاج بل يبذل المال له بقدر استطاعته.

وقطع الرحم يكون بالإساءة إلى الأرحام، أو بترك الإحسان، فقطع المرء ما ألفه قريبه منه من سابق الصلة والإحسان لغير عذر شرعي يصدق عليه أنه قطع رحمه.



المادة السابعة

يلحق بأولي القربى (الأرحام) في إحسان التعامل:

الأصهار، وهم أقارب الزوج، وأقارب الزوجة، وأزواج الأولاد

فمن تمام حسن العشرة بين الزوجين، والمودة التي جعلها الله تعالى رابطة بينهما، أن يحسن كل منهما إلى أقارب الآخر، وقد تقدم في البحث كيف كان إحسان رسول الله صلى الله عليه، لأصهاره، إضافة إلى أن تحسين الأخلاق معهم هو من عبادة حسن الخلق التي رتب الشارع عليها الفضل الكبير، ويكون ذلك بكافة صور الإحسان، بالزيارة والسلام، والهدية، والكلمة الطيبة.



المادة الثامنة

يدخل في إحسان التعامل: معاملة الخدم،

ومعاملة الجيران إذ أنهم من ألصق الناس بحياة الإنسان الأسرية

وقد رأينا كيف كانت معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم لخدمه، وكيف كان يحسن إليهم، وكذلك جيرانه من الصحابة وأهل الصفة.

ومعاملة الخدم تكون بإعانتهم عند تكليفهم، والشفقة عليهم بعدم تكليفهم مالا يطيقون، وإعطائهم حقوقهم، دون بخس لهم أو ظلم، ومراعاة الجانب الإنساني عند التعامل معهم.

وأما الجيران، فبالإحسان إليهم، وعدم أذيتهم، وزيارتهم، وتفقد أحوالهم، وعيادة مريضهم.



ملخص البحث

قد تناول هذا البحث جانباً مهماً جداً من جوانب السيرة النبوية، وهو الجانب الأسري، وجانب التعامل على وجه الخصوص، ففي الفصل الأول تم تناول الجانب الأسري في شخصية النبي عليه الصلاة والسلام، في تنشئته الأسرية والأسرة التي نشأ فيها ومكانته فيها والمنزلة التي كان يحظى بها في طفولته ودور جانب التعامل الأخلاقي البارز منه في ذلك كله، ثم استعراض أول أسرة شخصية له عليه الصلاة والسلام وهي أسرته وأم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وكيف كانت حياته الأسرية معها، وكيف كانت تلك الأسرة تمثل نموذجاً للأسرة التي تبنى على الحب والوفاء، حتى تبقى ذكرى الزوجة الأولى في حياته أبداً لم ينسها صلى الله عليه وسلم، ثم، تم البحث في الحياة الزوجية له صلى الله عليه وسلم مع زوجاته في البيت النبوي، وذكر تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم، ونبذة مختصرة عن كل منهن، ثم تعامله العظيم مع زوجاته، وذكر(٢٥) موقفاً تعاملياً أخلاقياً، لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع زوجاته، يظهر في تلك المواقف الأخلاق التعاملية الرائعة، من حب، ووفاء وصدق، وكرم، وسماحة، ومداعبة، وملاطفة، وتواضع، وحسن عشرة، إلى غير ذلك من المواقف الأخلاقية العالية، منه صلى الله عليه وسلم مع زوجاته.



ثم ناقش البحث في الفصل الثاني تعامل النبي عليه الصلاة والسلام، مع من لهم علاقة بالأسرة بمفهومها الواسع، وهم الأرحام، والأصهار، والخدم، والجيران، وتم في تلك المباحث إبراز الجوانب التعاملية مع كل منهم، والتي كانت في غاية الكمال والجمال في السمو الأخلاقي، كيف لا والمعامل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي زكى ربه خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤].

ويأتي في الفصل الثالث مناقشة سعادة الأسرة المسلمة، وتأثير الجوانب الأخلاقية فيها، وذلك بذكر أركان السعادة الأسرية الواردة في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، والتي هي:

الأفراد الصالحون، والمسكن الواسع ، والمركب الهنيء، وتناول هذا الفصل كذلك جانب السعادة باعتباره مطلباً عاماً لكل أحد، والأسرة تعتبر أساساً من الأسس التي تبنى عليها سعادة الإنسان، كما تناولت مباحث الفصل تطبيقات السعادة الأسرية في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، وحياته العامة، بمناقشة مسكنه مع زوجاته أمهات المؤمنين، وكذلك دابته المباركة القصواء، إضافة إلى مناقشة توجيهاته الكريمة في إنشاء الأسرة السعيدة، وما ينبغي أن تكون عليه الأسرة المسلمة من صلاح للزوجين، وبر للأبناء ومحافظة على الصحة العامة، وكذلك تحصين البيت بالأذكار الشرعية، واختيار الجار الصالح، والإحسان إليه .



ثم في ختام البحث، تمت كتابة الميثاق الخلاقي في التعامل الأسري الناجح، وحتى تتم سعادة المسلم الاسرية ينبغي التواصي والاهتمام بالأمور الآتية:

١. شمولية الاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام في سائر شؤون الحياة، وألا يقتصر ذلك على الجوانب العبادية أو الدعوية فقط، ومن ذلك ما يتعلق بجانب التعامل الأسري على وجه الخصوص.

٢. أهمية إبراز جانب الأسرة الشخصية للنبي عليه الصلاة والسلام، وأن تقدم دراسات وبحوث وبرامج خاصة في هذا المجال. يستنير بها المسلم في طريقه فهو صاحب القدوة الحسنة المطلقة صلى الله عليه وسلم.

٣. تنمية ثقافة التعامل الأسري الناجح، ومرجعيته سيرة النبي عليه الصلاة والسلام من خلال تقديم برامج تدريبية، وندوات، ومشاركات إعلامية، مرتبطة بهذا الموضوع.

٤. التأكيد على أهمية شمولية مفهوم التعامل الأسري الناجح، وأنه يتجاوز الزوجة والأولاد ليشمل كل من تربطه صلة قرابة رحم أو مصاهرة، أو قرابة مكانية كالجار والخادم.

٥. مراعاة ترتيب الأولويات عند التعامل والإحسان، فالأم ثم الأب ثم الأقرب رحماً، ثم مصاهرة، ثم جواراً.



٦. نشر المواثيق الأسرية بين الأقارب لمعرفة الحقوق والواجبات المتبادلة، واعتماد برامج تربوية أسرية عليها. حتى ينشأ الناشئ وقد عرف ما يجب عليه تجاه أسرته، وما يجب له.

٧. سعادة الأسرة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتعامل، حيث يشكل التعامل جانباً رئيساً من السعادة الأسرية، لذلك فعند طرح موضوعات الأسرة السعيدة ينبغي أن تتناول جانب التعامل الأسري.

٨. حياة النبي عليه الصلاة والسلام كلها رحمة، فهو الرحمة المهداة والنعمة المسداة، وقد تجلت رحمته في تعامله مع أهله وأقاربه أولاً، فحري بالدعاة إلى الله أن يقتفوا أثره في هذا الجانب وأن يسيروا على خطاه، في تعاملاتهم الأسرية.

٩ . ما يطرح في هذا العصر من مفاهيم، ومصطلحات متعلقة بالأسرة يحتاج إلى تمحيص وعرض على مبادئ الإسلام فما وافق منها قبل وإلا فلا.

١٠. إن النموذج المثالي للتعامل الأسري الناجح هو نموذج تعامل النبي عليه الصلاة والسلام.

١١. الأسرة الناجحة السعيدة هي الأسرة التي يتمتع كافة أفرادها بأخلاقيات تعاملية عالية، وفي مقدمة ذلك الحب والوفاء، والتقدير والاحترام المتبادل.



١٢. إن استقامة الأسرة المسلمة له تأثير مباشر على أمن المجتمع، ذلك أن الأسرة تشكل النواة الرئيسة في بنية المجتمع السعيد، والأسرة التي ينشأ أبناؤها في ظل الهدي النبوي في سائر شؤون حياتهم، سوف يشكلون مجتمعاً آمناً لا محالة.

١٣. من مهارات التعامل الأسري الناجح عند حدوث الخلافات الزوجية، أسلوب الابتسامة، والتغاضي، والحوار والإقناع، والوعظ والتذكير، والتأديب، والتأني، والمشاورة والتخيير، والهجر، وأخيراً الطلاق الناجح.



المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دار حياة الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ.
٣. مختار الصحاح، الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر.
٤. الخلق الكامل، محمد أحمد جاد، مكتبة ومطبعة محمد علي، الأزهر، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ.
٥. الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن، مكتبة الخانجي، الطبعة ١٣٩٢هـ
٦. الموسوعة الحديثة مسند الإمام أحمد (١٦٤. ١٤٢) هـ عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، توزيع وزارة الشئون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.
٧. صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، توزيع مكتبة دار الباز، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٨. صحيح الجامع، الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
٩. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
١٠. السلسلة الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف، للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة ١٤١٥هـ.
١١. كتاب السنن، ابو داود، تحقيق محمد عانة، مؤسسة الريان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.



١٢. صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٣. سنن الترمذي، دار الفكر، للطباعة، الطبعة ١٤١٤هـ.

١٤. تاج العروس للفيروز أبادي.

١٥. لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين يحي (٧١١هـ)، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.

١٦. إحياء علوم الدين، الغزالي، دار الخير للطباعة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٧. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، مكتبة دار الأقصى، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٨. القاموس المحيط، للفيروز أبادي، مجد الدين محمد يعقوب، لطبعة الأولى ١٣٧١ هـ مكتبة مصطفى اللبان.

١٩. فتح الباري، ابن حجر، دار الريان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٢٠. حصن المسلم، سعيد القحطاني، دار الطرفين، طبعة ١٤٢٢هـ.

٢١. المستدرك على الصحيحين، ابو عبد الله الحاكم، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

٢٢. هداية المشتاق إلى محاسن الأخلاق، عبد الله شقيبل، دار القاسم الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٣. حلية الأولياء أبو نعيم دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.

٢٤. هذه أخلاقنا، حين نكون مؤمنين حقاً، محمود خزندار، دار طيبة للطباعة، الطبعة التاسعة ١٤٢٥هـ.



٢٥. الفتاة المسلمة، والأزمة الأخلاقية، في الإعلام المعاصر، با حارث، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة١٤٢٣هـ.

٢٦. عش هانئاً، عبد الكريم بكار، مركز الراية للتنمية الفكرية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

٢٧. تربية النشء في ظلال الإسلام محمود عمارة، مطبوعات الرابطة، مجلة دعوة الحق عدد (٢٦)، ١٤٢١هـ.

٢٨. ثقافة الطفل المسلم، مفهومها وأسس بناؤها، احمد الحليبي دار الفضيلة الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢٩. السنن الكبرى، البيهقي، (ت ٤٥٨)، دار الفكر، بيروت.

٣٠. سنن ابن ماجه، بشرح السندي، بحاشية تعليقات الزجاجة، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٣١. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، عبد العزيز الحميدي، دار الأندلس الخضراء، الطبعة ١٤١٦هـ.

٣٢. سنن ابن ماجة والشرح، دار المعرفة، طبعة ١٤١٦هـ.

٣٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي للنشر والتوزيع الطبعة ١٤١٤هـ القاهرة، تحقيق حسام الدين القدسي.

٣٤. تهذيب سير أعلام النبلاء، للذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٣٥. الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة نوره صالح آل علي دار ابن القيم.

٣٦. نظام الأسرة في الإسلام، محمد عقيلة، مكتبة الرسالة الحديثة، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.



٣٧. تحفة العروس، الإستانبولي، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣٨. بصمات على ولدي، طيبة اليحيى، دار الوطن، للنشر، ١٤١٢هـ.
٣٩. قضية تحرير المرأة، محمد قطب، دار الأندلس، الطبعة ١٤١١هـ.
٤٠. الزواج، ابن عثيمين، دار الوطن الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.
٤١. كيف يربي المسلم ولده، محمد سعيد مولوي، دار رمادي للنشر، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.
٤٢. فتح القدير للشوكاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ..
٤٣. مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، في مرحلة الطفولة، عدنان با حارث، دار المجتمع، الطبعة السادسة، ١٤١٨هـ.
٤٤. بر الوالدين، قيمة إسلامية عظيمة، عبد الله عبد العزيز، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
٤٥. الأساليب النبوية في معالجة المشكلات الزوجية، د. عبد السميع الأنيس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.
٤٦. السيرة النبوية، لابن هشام، الطبعة ١٤١٥هـ، دار الفكر.
٤٧. تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان، دار السلام للطباعة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.
٤٨. تحفة المودود في أحكام المولود، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية.
٤٩. كيف تجعل الطفل رجل المستقبل الصالح، بهية السبيت، ١٤١٦هـ.



٥٠. الوسطية في التربية الإسلامية، عبد الله محمد الزهراني، دار طيبة، للطباعة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٥١. التربية الترويحية في الإسلام، احمد سمك، دار النفائس، ١٤٢٠ هـ.

٥٢. مفاهيم أساسية لدراسة السيرة النبوية، محمد جلال قصاص ص٦ بحث غير منشور.

٥٣. كتابة البحث العلمي، أبو سليمان الطبعة الأولى ١٤١٥هـ دار الشروق، جدة.

٥٤. السيرة النبوية دراسة تحليلية، د. أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى.

٥٥. السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب الطبعة الأولى.

٥٦. موسوعة الأسرة المسلمة، إعداد لجنة البحوث والدراسات، اشراف د. توفيق الواعي، الطبعة الأولى.

٥٧. أدب الإسلام في نظام الأسرة، محمد علوي الطبعة الأولى دار الرفاعي.

٥٨. السيرة النبوية، د. محمد ابو شهبة. دار القلم.

٥٩. الأساليب النبوية في معاجلة المشاكل الزوجية، الطبعة الأولى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

٦٠. عيون الأثر، ابن سيد الناس.

٦١. الرحيق المختوم، صفي الرحم المبارك فوري، الطبعة الأولى، رابطة العالم الإسلامي.



مواقع الإنترنت التي استفاد منها الباحث:

١. موقع اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل.

٢. موقع نصرة سيدنا رسول الله.

٣. الإسلام اليوم.

٤. موقع الدر السنية.

أشرطة وبرامج سمعية:

١. السعادة وحل المشاكل النفسية، صلاح الراشد، مركز الراشد للتنمية الاجتماعية والنفسية.

٢. التربية النفسية في حياة الأسرة المسلمة، طارق الحبيب، مؤسسة أحد للإنتاج والتوزيع.

٣. لمسات نفسية في الحياة الزوجية، طارق الحبيب، أحد للإنتاج والتوزيع.

٤. فنون تربية الأبناء، عبد الحميد البلالي، مؤسسة قرطبة للإنتاج التوزيع.

٥. اللمسات المؤمنة للأسرة المسلمة، أحمد القطان، تسجيلات حنين الإسلامية.



فهرس الموضوعات

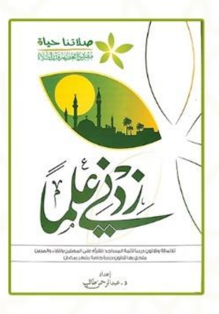


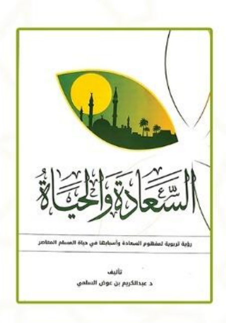


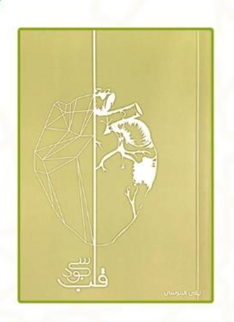

صلاتنا حياة
مشروع تعظيم قدر الصلاة

هذا الإصدار برعاية وقف تعظيم قدر الصلاة

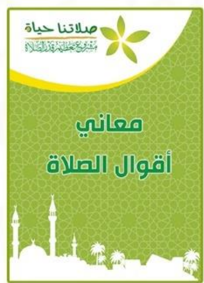






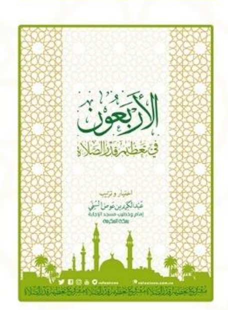




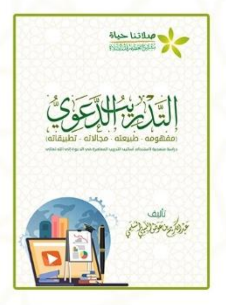




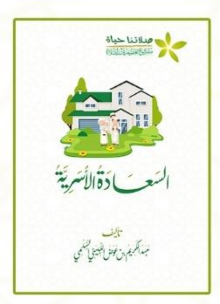






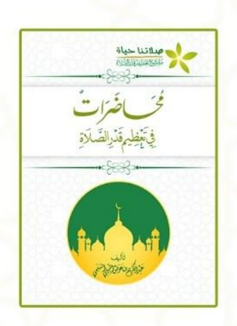














مكة المكرمة - الشوقية - حي الملك فهد - بجوار جامع ومجمع البلد الأمين - المبنى 3187











